# سـورة الزمر

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ويقال: سورة « الغرف». قال وهب بن منبه: من أحب أن يعرف قضاء الله عز وجل في خلقه فليقرأ سورة الغرف[١]. وهي مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر بن زيد. وقال ابن عباس: إلا آيتين نزلتا بالمدينة: إحداهما: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، والأخرى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣] الآية. وقال آخرون: إلا سبع آيات من قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ [الزمر: ٥٣] إلى آخر سبع آيات نزلت في وحشي وأصحابه على ما يأتي[٢]. روى الترمذي عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ لا ينام حتى يقرأ الزمر وبني إسرائيل[٣]. وهي خمس وسبعون آية. وقيل: اثنتان وسبعون آية.

﴿ تَنزِيلُ ٱلْكِتَـٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَـٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝ لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ۝ ﴾

قوله تعالى: ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾ رفع بالابتداء وخبره ﴿مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾. ويجوز أن يكون مرفوعا بمعنى هذا تنزيل؛ قاله الفراء. وأجاز الكسائي والفراء أيضا: « تنزيلَ » بالنصب على أنه مفعول به. قال الكسائي: أي: اتبعوا واقرؤوا ﴿تَنزِيلُ الْكِتَابِ﴾. وقال الفراء: هو على الإغراء مثل قوله: ﴿كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٢٤] أي: الزموا. والكتاب القرآن. سمي بذلك لأنه مكتوب.

قوله تعالى: ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ﴾ أي: هذا تنزيل الكتاب من الله وقد أنزلناه بالحق؛ أي: بالصدق وليس بباطل وهزل. ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا﴾.

فيه مسألتان:

**الأولى:** ﴿مُخْلِصًا﴾ نصب على الحال، أي: موحدا لا تشرك به شيئا ﴿لَّهُ الدِّينَ﴾ أي: الطاعة. وقيل: العبادة وهو مفعول به. ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ أي: الذي لا يشوبه شيء. وفي حديث الحسن عن أبي هريرة أن رجلا قال: يا رسول الله إني أتصدق بالشيء وأصنع الشيء أريد به وجه الله وثناء

(١) النحاس (٦/ ١٤٧) في معاني القرآن، وسميت كذلك لقوله تعالى: ﴿لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾.

(٢) سيأتي ذلك - إن شاء الله تعالى، وانظر: زاد المسير (٧/ ١٦٠) لابن الجوزي.

(٣) صحيح: الترمذي (٣٤٠٥) في الدعوات، وصححه الألباني هناك، و(٤٨٧٤) في صحيح الجامع.

الناس. فقال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يقبل الله شيئا شورك فيه» ثم تلا رسول الله ﷺ ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ وقد مضى هذا المعنى في «البقرة» [١] و«النساء» [٢] و«الكهف» [٣] مستوفى.

**الثانية**: قال ابن العربي [٤]: هذه الآية دليل على وجوب النية في كل عمل، وأعظمه الوضوء الذي هو شطر الإيمان، خلافا لأبي حنيفة والوليد بن مسلم عن مالك اللذين يقولان: إن الوضوء يكفي من غير نية، وما كان ليكون من الإيمان شطرا ولا ليخرج الخطايا من بين الأظافر والشعر بغير نية.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ﴾ يعني الأصنام والخبر محذوف. أي: قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾ قال قتادة: كانوا إذا قيل لهم من ربكم وخالقكم؟ ومن خلق السموات والأرض وأنزل من السماء ماء؟ قالوا الله، فيقال لهم ما معنى عبادتكم الأصنام؟ قالوا ليقربونا إلى الله زلفى، ويشفعوا لنا عنده [٥]. قال الكلبي: جواب هذا الكلام في الأحقاف: ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً﴾ [٦] [الأحقاف: ٢٨] والزلفى القربة؛ أي: ليقربونا إليه تقريبا، فوضع ﴿زُلْفَىٰ﴾ في موضع المصدر. وفي قراءة ابن مسعود وابن عباس ومجاهد: «والذين اتخذوا من دونه أولياء قالوا: ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى» [٧] وفي حرف أُبيّ «والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدكم إلا لتقربونا إلى الله زلفى» [٨] ذكره النحاس. قال: والحكاية في هذا بينة. ﴿إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ أي بين أهل الأديان يوم القيامة فيجازي كلا بما يستحق. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾ أي: من سبق له القضاء بالكفر لم يهتد؛ أي: للدين الذي ارتضاه وهو دين الإسلام؛ كما قال الله تعالى: ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ وفي هذا رد على القدرية وغيرهم على ما تقدم.

قوله تعالى: ﴿لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ أي: لو أراد أن يسمي أحدا من خلقه بهذا ما جعله عز وجل إليهم. ﴿سُبْحَانَهُ﴾ أي: تنزيها له عن الولد ﴿هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾.

﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ ۝ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ﴾ أي: هو القادر على الكمال المستغني عن الصاحبة

---

(١) ضعيف: وقد سبق عند الآية (٢٦٢).

(٢) عند الآية (١٤٦).

(٣) عند الآية (١١٠).

(٤) القاضي ابن العربي المالكي (٤/ ١٦٥٦) في أحكام القرآن.

(٥) صحيح: الطبري (٢٣/ ١٩٥) في تفسيره، وزاد السيوطي (٥/ ٦٠٢) في الدر عزوه لابن المنذر، وعبد بن حُميد، والبغوي (٧/ ١٠٨) في تفسيره.

**قلت**: وهذه هي شبهة أهل الأضرحة والقبور بين من أهل القصعة اليوم.

(٦) فتح القدير (٦/ ٢٦٨) للشوكاني.

(٧، ٨) قراءات شاذة كلها انظرها في: معاني القرآن(٦/ ١٥٠).

والولد، ومن كان هكذا فحقه أن يفرد بالعبادة لا أنه يشـرك به. ونبه بهذا على أن يتعبد العباد بما شاء وقد فعل. ﴿يُكَوِّرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكَوِّرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ﴾ قال الضـحاك: أي يلقي هذا على هذا. وهذا على هذا[١]. وهذا على معـنى التكوير في اللغة وهو طرح الشيء بعـضه على بعض؛ يقـال: كور المتاع، أي: ألقى بعضه على بعض؛ ومنه كور العمامة. وقد روي عن ابن عباس هذا في معنى الآية. قال: مـا نقص من الليل دخل في النهار، وما نقص مـن النهار دخل في الليل[٢]. وهو معنى قوله تعالى: ﴿يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ﴾ [فاطر: ١٣] وقيل: تكوير الليل على النهار تغشيته إياه حتى يذهب ضوءه، ويغـشى النهار على الليل فيذهب ظلمتـه، وهذا قول قتادة[٣]. وهو معنى قوله تعالى: ﴿يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا﴾ [الأعراف: ٥٤]. ﴿وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ﴾ أي: بالطلوع والغروب لمنافع العباد. ﴿كُلٌّ يَجْرِي لأَجَلٍ مُسَمًّى﴾ أي في فلكه إلى أن تنصرم الدنيا وهو يوم القـيامة حين تنفطر السماء وتنتـثر الكواكب. وقيل: الأجل المسمى هو الوقت الذي ينتـهي فيه سير الشـمس والقمر إلى المنازل المرتبة لغـروبها وطلوعـها. قال الكلبي: يسـيران إلى أقصى منـازلهما، ثم يرجـعان إلى أدنى منازلهما لا يجاوزان[٤]. وقد تقدم بيان هذا في سورة «يس»[٥] ﴿أَلا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ﴾ ﴿أَلا﴾ تنبيه أي تنبهوا فإني أنا ﴿الْعَزِيزُ﴾ الغالب ﴿الْغَفَّارُ﴾ الساتر لذنوب خلقه برحمته.

قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ يعني آدم عليه السلام ﴿ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ يعني ليحصل التناسل، وقد مـضى هذا في «الأعراف»[٦] وغيـرها. ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ﴾ أخبـر عن الأزواج بالنزول، لأنها تكونت بالنبات والنبات بالماء المنزل. وهذا يسمى التدريج؛ ومثله قوله تعالى: ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا﴾[الأعراف: ٢٦] الآية. وقـيل: أنزل: أنشأ وجـعل. وقال سـعيـد بن جبـير: خلق[٧]. وقيل: إن الله تعالـى خلق هذه الأنعام في الجنة ثم أنزلها إلى الأرض؛ كمـا قيل في قوله تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾ [الحديد: ٢٥]، فإن آدم لما هبط إلى الأرض أنزل مـعه الحديد. وقيل: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الأَنْعَامِ﴾ أي: أعطاكم. وقـيل: جعل الخلق إنـزالا؛ لأن الخلق إنما يكون بأمـر ينـزل من السمـاء. فالمعـنى: خلق لكم كذا بأمره النازل. قال قتـادة: من الإبل اثنين ومن البقر اثنين ومن الضأن اثنين ومن المعز اثنين كل واحد زوج. وقد تقدم هذا. ﴿يَخْلُقُكُمْ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾ قال قتادة والسدي: نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم عظما ثم لحما[٨]. ابن زيد: ﴿خَلْقًا مِّن بَعْدِ خَلْقٍ﴾ خلقا في بطون أمهـاتكم من بعـد خلقكم في ظهر آدم[٩]. وقيل: في ظهر الأب ثم خلقـا في بطن

---

(١) فتح القدير (٦/ ٢٦٩) للشوكاني غير مسند، والنكت والعيون (٤/ ٥) للماوردي.

(٢) ما روى عن ابن عبـاس (يحمل الليل على النهار) كمـا عند الطبري (٢٣/ ١٩٧) في تفسيـره منقطعًا من طريق علي بن أبي طلحة، وابن أبي حاتم (١٢/ ١٤٥) في تفسيـره، والأثر المذكور عن الحسن والكلبي وانظر: البغوي (٧/ ١٠٧، ١٠٨).

(٣) صحيح إلى قتادة: الطبري (٢٣/ ١٩٧) في تفسيره.

(٤، ٥) سبقا عند الآية (٤٠) من سورة «يس».

(٦) عند الآية (١).

(٧) انظر: النكت والعيون (٤/ ٥) للماوردي بغير سند.

(٨) صحيح إليه: الطبري (٢٣/ ١٩٩) في تفسيره.

(٩) صحيح: انظر السابق.

الأم ثم خلقا بعد الوضع ذكره الماوردي[١] . ﴿فِي ظُلُمَاتٍ ثَلاثٍ﴾ ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة. قاله ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك[٢]. وقال ابن جبير: ظلمة المشيمة وظلمة الرحم ،وظلمة الليل[٣]. والقول الأول أصح. وقيل: ظلمة صلب الرجل، وظلمة بطن المرأة ، وظلمة الرحم. وهذا مذهب أبي عبيدة. أي لا تمنعه الظلمة كما تمنع المخلوقين. ﴿ذَلِكُمُ اللَّهُ﴾ أي: الذي خلق هذه الأشياء ﴿رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ﴾. ﴿فَأَنَّى تُصْرَفُونَ﴾ أي: كيف تنقلبون وتنصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره. وقرأ حمزة«إمهاتكم»بكسر الهمزة والميم[٤]. والكسائي بكسر الهمزة وفتح الميم[٥]. الباقون بضم الهمزة وفتح الميم.

﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ﴾ شرط وجوابه ﴿وَلا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ﴾ أي: أن يكفروا ،أي: لا يحب ذلك منهم. وقال ابن عباس والسدي: معناه لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر، وهم الذين قال الله فيهم: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾ [الإسراء: ٦٥]، وكقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦] أي المؤمنون[٦]. وهذا على قول من لا يفرق بين الرضا والإرادة. وقيل: لا يرضى الكفر وإن أراده؛ فالله تعالى يريد الكفر من الكافر وبإرادته كفر لا يرضاه ولا يحبه، فهو يريد كون ما لا يرضاه، وقد أراد الله عز وجل خلق إبليس وهو لا يرضاه، فالإرادة غير الرضا. وهذا مذهب أهل السنة.

قوله تعالى: ﴿وَإِن تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ أي :يرضى الشكر لكم؛ لأن ﴿تَشْكُرُوا﴾ يدل عليه. وقد مضى القول في الشكر في «البقرة»[٧] وغيرها. ويرضى بمعنى يثيب ويثني، فالرضا على هذا إما ثوابه فيكون صفة فعل :﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُمْ﴾ [إبراهيم: ٧] ،وإما ثناؤه فهو صفة ذات. و« يَرْضَهُ » بالإسكان[٨] في الهاء قرأ أبو جعفر وأبو عمرو وشيبة وهبيرة عن عاصم. وأشبع الضمة ابن ذكوان وابن كثير وابن محيصن والكسائي وورش عن نافع[٩]. واختلس الباقون [١٠] ﴿وَلا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ قد تقدم في غير موضعه.

---

(١) النكت والعيون (٤/ ٥)للماوردي .

(٢) ذكرها الطبري (٢٣/ ١٩٩) في تفسيره ، عن مجاهد وعكرمة والضحاك ، والسند إلى الضحاك منقطع ، وفي سند عكرمة ( سماك ) وهو مضطرب وإسنادهم ضعيف ، وانظر: الدر المنثور (٥/ ٦٠٤) للسيوطي وزاد عزوه لابن أبي حاتم ، وسعيد بن منصور .
وانظر: تفسير ابن أبي حاتم (١٢/ ١٤٧) .

(٣) انظر: الماوردي (٤/ ٧) في تفسيره .

(٤، ٥) قراءتان متواترتان : كما في تقريب النشر (ص١٠٤) .

(٦) منقطع : بين علي بن أبي طلحة ، وابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ وصحيح إلى السدي : الطبري (٢٣/ ١٠).

(٧) عند الآية (٥٢) .

(٨ ـ ١٠) قراءات متواترة : تقريب النشر (ص١٠٦) .

﴿ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَـٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٩﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ الإِنسَانَ﴾ يعني الكافر ﴿ضُرٌّ﴾ أي: شدة من الفقر والبلاء ﴿دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ أي: راجعا إليه مخبتا مطيعا له مستغيثا به في إزالة تلك الشدة عنه. ﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ أي: أعطاه وملكه. يقال: خولك الله الشيء، أي: ملكك إياه، وكان أبو عمرو بن العلاء ينشد:

هُنَالِكَ إِن يُسْتَخْوَلُوا الْمالَ يُخْوِلوا وإِن يُسْأَلُوا يُعْطُوا وإِنْ يَيْسِروا يُغْلُوا

وخول الرجل: حشمه الواحد خائل. قال أبو النجم:

أَعْطَى فلَمْ يَبْخَلْ ولم يُبَخَّل كُوم الذُّرى من خَوَلِ المُخَوَّلِ

قوله تعالى: ﴿نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ﴾ أي: نسي ربه الذي كان يدعوه من قبل في كشف الضر عنه. فـ ﴿مَا﴾ على هذا الوجه لله عز وجل وهي بمعنى الذي. وقيل: بمعنى «من» كقوله: ﴿وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ﴾ [الكافرون: ٣] والمعنى واحد. وقيل: نسي الدعاء الذي كان يتضرع به إلى الله عز وجل. أي: ترك كون الدعاء منه إلى الله، فما والفعل على هذا القول مصدر. ﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا﴾ أي أوثانا وأصناما. وقال السدي: يعني أندادا من الرجال يعتمدون عليهم في جميع أمورهم. ﴿لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ﴾ أي: ليقتدي به الجهال. ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ أي: قل لهذا الإنسان ﴿تَمَتَّعْ﴾ وهو أمر تهديد فمتاع الدنيا قليل. ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ أي: مصيرك إلى النار.

قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ بين تعالى أن المؤمن ليس كالكافر الذي مضى ذكره. وقرأ الحسن وأبو عمرو وعاصم والكسائي: «أمّن» بالتشديد. وقرأ نافع وابن كثير ويحيى بن وثاب والأعمش وحمزة ﴿أمن هو﴾ بالتخفيف[1] على معنى النداء؛ كأنه قال: يا من هو قانت. قال الفراء: الألف بمنزلة يا، تقول يا زيد أقبل وأزيد أقبل. وحكي ذلك عن سيبويه وجميع النحويين؛ كما قال أوس بن حجر:

أَبَنِي لُبَيْنَى لَسْتُمُ بِيدٍ إِلاَّ يَداً لَيْسَت لها عَضُدُ

وقال آخر هو ذو الرمة:

أَدَاراً بِحُزْوَى هِجْت لِلْعَيْنِ عَبْرَةً فَمَاءُ الْهَوَى يَرْفَضُّ أَو يَتَرَقْرَقُ

فالتقدير على هذا ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلاً إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ يا من هو قانت إنك من أصحاب الجنة؛ كما يقال في الكلام: فلان لا يصلي ولا يصوم، فيا من يصلي ويصوم أبشر؛ فحذف لدلالة الكلام عليه. وقيل: إن الألف في ﴿أمن﴾ ألف استفهام أي: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ أفضل؟ أم من جعل لله أندادا؟ والتقدير الذي هو قانت خير. ومن شدد ﴿أَمَّنْ﴾ فالمعنى العاصون المتقدم ذكرهم

(١) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٦٨).

خير ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ فالجملة التي عادلت أم محذوفة، والأصل « أم من » فأدغمت في الميم. النحاس: وأم بمعنى بل، ومن بمعنى الذي؛ والتقدير: أم الذي هو قانت أفضل ممن ذكر. وفي ﴿قَانِتٌ﴾ أربعة أوجه: أحدها أنه المطيع؛ قاله ابن مسعود[١]. الثاني أنه الخاشع في صلاته؛ قاله ابن شهاب. الثالث: أنه القائم في صلاته؛ قاله يحيى بن سلام. الرابع: أنه الداعي لربه. وقول ابن مسعود يجمع ذلك. وقد روي عن النبي ﷺ أنه قال: «كل قنوت في القرآن فهو طاعة لله عز وجل»[٢]، وروي عن جابر عن النبي ﷺ أنه سئل أي الصلاة أفضل؟ فقال: «طول القنوت»[٣]، وتأوله جماعة من أهل العلم على أنه طول القيام. وروى عبد الله عن نافع عن ابن عمر سئل عن القنوت فقال: ما أعرف القنوت إلا طول القيام، وقراءة القرآن[٤]. وقال مجاهد: من القنوت طول الركوع وغض البصر[٥]. وكان العلماء إذا وقفوا في الصلاة غضوا أبصارهم، وخضعوا ولم يلتفتوا في صلاتهم، ولم يعبثوا ولم يذكروا شيئا من أمر الدنيا إلا ناسين. قال النحاس: أصل هذا أن القنوت الطاعة، فكل ما قيل فيه فهو طاعة لله عز وجل، فهذه الأشياء كلها داخلة في الطاعة وما هو أكثر منها كما قال نافع: قال لي ابن عمر قم فصل فقمت أصلي وكان علي ثوب خلق، فدعاني فقال لي: أرأيت لو وجهتك في حاجة أكنت تمضي هكذا ؟ فقلت: كنت أتزين قال: فالله أحق أن تتزين له[٦]. واختلف في تعيين القانت ها هنا، فذكر يحيى بن سلام أنه رسول الله ﷺ[٧]. وقال ابن عباس في رواية الضحاك عنه: هو أبو بكر وعمر رضي الله عنهما [٨]. وقال ابن عمر: هو عثمان رضي الله عنه[٩]. وقال مقاتل: إنه عمار بن ياسر[١٠]. الكلبي: صهيب وأبو ذر وابن مسعود[١١]. وعن الكلبي أيضا أنه مرسل فيمن كان على هذه الحال. ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ قال الحسن: ساعاته: أوله وأوسطه وآخره[١٢]. وعن ابن عباس: ﴿آنَاءَ اللَّيْلِ﴾ جوف الليل[١٣]. قال ابن عباس: من أحب أن يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة، فليره الله في ظلمة الليل ساجدا وقائما، يحذر الآخرة، ويرجو رحمة ربه[١٤]. وقيل: ما بين المغرب والعشاء. وقول

(١، ٢) سبقا ، والحديث ضعيف مرفوع ، وأثر ابن مسعود صحيح موقوف عند ابن كثير (٧/ ٦٤) في تفسيره.

(٣) صحيح : مسلم (٧٥٦/ ١٦٤، ١٦٥) في صلاة المسافرين وقصرها .

(٤) صحيح : الطبري (٢٣/ ٢٠٥) في تفسيره .

(٥) سبق .

(٦) حسن موقوف : عبد الرزاق (١/ ٣٥٨) في المصنف .

(٧) وهذا بعيد ، والله أعلم .

(٨) منقطع : بين الضحاك ، وابن عباس الطبري (٢٣/ ٢٠٥) في تفسيره .

(٩) ضعيف : أبو نعيم (١/ ٥٦) في حلية الأولياء ، وفي سنده يحيى البكاء ، وفيه لين ، وانظر: الكاشف (٢/ ٣٧٦) .

(١٠) مرسل وضعيف : الواحدى (ص٣١٠) في أسباب النزول .

(١١) ضعيف : لحال الكلبي الكذّاب ، ورواه البغوي (٧/ ١١١) غير مسند .

(١٢) ورواه الطبري (٢٣/ ٢٠٥) في تفسيره ، عن قتادة ، وهو غير مسند عند الماوردي (٤/ ٧) .

(١٣) غير مسند عند الماوردي (٤/ ٧) ، وابن كثير (٧/ ٦٤) في تفسيره .

(١٤) لم أجده هكذا .

الحسن عام[١]. ﴿يَحْذَرُ الآخِرَةَ﴾ قال سعيد بن جبير: أي عذاب الآخرة[٢]. ﴿وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ أي: نعيم الجنة. وروي عن الحسن أنه سئل عن رجل يتمادى في المعاصي ويرجو فقال: هذا متمن[٣]، ولا يقف على قوله: ﴿رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ من خفف ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ على معنى النداء؛ لأن قوله: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ متصل إلا أن يقدر في الكلام حذف وهو أيسر، على ما تقدم بيانه.

قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾ قال الزجاج: أي كما لا يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون كذلك لا يستوي المطيع والعاصي. وقال غيره: الذين يعلمون هم الذين ينتفعون بعلمهم ويعملون به، فأما من لم ينتفع بعلمه ولم يعمل به فهو بمنزلة من لم يعلم. ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الأَلْبَابِ﴾ أي: أصحاب العقول من المؤمنين.

﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي: قل يا محمد لعبادي المؤمنين: ﴿اتَّقُوا رَبَّكُمْ﴾ أي: اتقوا معاصيه والتاء مبدلة من واو، وقد تقدم. وقال ابن عباس: يريد جعفر بن أبي طالب والذين خرجوا معه إلى الحبشة[٤]. ثم قال: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ يعني بالحسنة الأولى الطاعة وبالثانية الثواب في الجنة. وقيل: المعنى للذين أحسنوا في الدنيا حسنة في الدنيا، يكون ذلك زيادة على ثواب الآخرة، والحسنة الزائدة في الدنيا الصحة والعافية والظفر والغنيمة. قال القشيري: والأول أصح؛ لأن الكافر قد نال نعم الدنيا.

قلت: وينالها معه المؤمن ويزاد الجنة إذا شكر تلك النعم. وقد تكون الحسنة في الدنيا الثناء الحسن، وفي الآخرة الجزاء.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ﴾ فهاجروا فيها ولا تقيموا مع من يعمل بالمعاصي[٥]. وقد مضى القول في هذا مستوفى في «النساء»[٦]. وقيل: المراد أرض الجنة؛ رغبهم في سعتها وسعة نعيمها؛ كما قال: ﴿وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالأَرْضُ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، والجنة قد تسمى أرضا؛ قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ [الزمر: ٧٤] والأول أظهر فهو أمر بالهجرة. أي: ارحلوا من مكة إلى حيث تأمنوا. الماوردي: يحتمل أن يريد بسعة الأرض سعة الرزق؛ لأنه يرزقهم من الأرض فيكون معناه ورزق الله واسع وهو أشبه؛ لأنه أخرج سعتها مخرج الامتنان.

قلت: فتكون الآية دليلا على الانتقال من الأرض الغالية، إلى الأرض الراخية، كما قال سفيان

---

(١) قلت: هو الأصح، والله أعلم.

(٢) ورواه موقوفًا على ابن عباس بسند صحيح: الطبري (٢٣/ ٢٠٦) في تفسيره.

(٣) قد سبق، وانظر تفسير الحسن البصري (٢/ ٢٦٠).

(٤) ذكره البغوي (٧/ ١١١) في تفسيره بلفظ: قيل ولم يذكر سندًا.

(٥) وهذا قول عطاء: وفيه شريك سيئ الحفظ، كما عند ابن كثير (٧/ ٦٥) في تفسيره.

(٦) عند الآية (١٠٠).

الثوري: كن في موضع تملأ فيه جرابك خبزا بدرهم.

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: بغير تقدير. وقيل: يزاد على الثواب؛ لأنه لو أعطي بقدر ما عمل لكان بحساب. وقيل ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أي: بغير متابعة ولا مطالبة كما تقع المطالبة بنعيم الدنيا. و﴿الصَّابِرُونَ﴾ هنا الصائمون؛ دليله قوله عليه الصلاة والسلام مخبرا عن الله عز وجل: «الصوم لي وأنا أجزي به»[1]. قال أهل العلم: كل أجر يكال كيلا ويوزن وزنا إلا الصوم فإنه يحثى حثوا ويغرف غرفا؛ وحكي عن علي رضي الله عنه. وقال مالك بن أنس في قوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ قال: هو الصبر على فجائع الدنيا وأحزانها. ولا شك أن كل من سلم فيما أصابه، وترك ما نهي عنه، فلا مقدار لأجرهم. وقال قتادة: لا والله ما هناك مكيال ولا ميزان، حدثني أنس أن رسول الله ﷺ قال: «تنصب الموازين فيؤتى بأهل الصدقة فيوفون أجورهم بالموازين، وكذلك الصلاة والحج، ويؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان، ويصب عليهم الأجر بغير حساب قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل»[2]. وعن الحسين بن علي رضي الله عنهما قال سمعت جدي رسول الله ﷺ يقول: «أد الفرائض تكن من أعبد الناس، وعليك بالقنوع تكن من أغنى الناس، يا بني إن في الجنة شجرة يقال لها شجرة البلوى يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم ميزان، ولا ينشر لهم ديوان، يصب عليهم الأجر صبا» ثم تلا النبي ﷺ ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾[3]. ولفظ صابر يمدح به وإنما هو لمن صبر عن المعاصي، وإذا أردت أنه صبر على المصيبة قلت صابر على كذا؛ قاله النحاس. وقد مضى في «البقرة» مستوفى.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ۝١٤ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١٥ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَـٰعِبَادِ

---

(١) صحيح: وقد سبق.

(٢) عزاه السيوطي (٥/ ٦٠٥، ٦٠٦) في الدر المنثور لابن مردويه، عن أنس ـ رضي الله عنه، وقد رواهُ الترمذي (٢٤٠٢)، عن جابر ـ رضي الله عنه، وحسنه الألباني (٢٢٠٦) في الصحيحة من طريق الترمذي. ورواه الطبراني بسند فيه مجاعة بن الزبير، عن ابن عباس، ومجاعة ضعيف كما في المجمع (٢/ ٣٠٥) للهيثمي. ورواه ابن أبي شيبة (٢/ ٤٤٣) في مصنفه مقطوعًا على مسروق، و(٧/ ٢٣٢) موقوفًا على ابن مسعود وفيه رجل لم يسم.

(٣) موضوع: إسناده مظلم، رواه الطبراني (٣/ ٩٢) في الكبير وفي إسناده: الأصبغ بن نباتة وهو: واهٍ، وسعد ابن طريف: ضعيف جدًا.
وهو عن الحسن بن علي لا الحسين كما في طبعة دار الحديث (١٥/ ٢٣١) وطبعة التوفيقية (١٥/ ١٩٢)، والتصحيح من الكتب الأصلية المنقول عنها الحديث، والدر المنثور (٥/ ٦٦) للسيوطي.

﴿فَٱتَّقُونِ ⁽¹⁶⁾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ تقدم أول السورة. ﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ من هذه الأمة، وكذلك كان؛ فإنه كان أول من خالف دين آبائه؛ وخلع الأصنام وحطمها، وأسلم لله وآمن به، ودعا إليه ﷺ. واللام في قوله: ﴿لِأَنْ أَكُونَ﴾ صلة زائدة؛ قاله الجرجاني وغيره. وقيل: لام أجل. وفي الكلام حذف أي أمرت بالعبادة ﴿لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ يريد عذاب يوم القيامة وقال حين دعاه قومه إلى دين آبائه؛ قاله أكثر أهل التفسير. وقال أبو حمزة الثمالي وابن المسيب: هذه الآية منسوخة[١] بقوله تعالى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، فكانت هذه الآية من قبل أن يغفر ذنب النبي ﷺ. ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ﴾﴿اللَّهَ﴾ نصب بـ ﴿أَعْبُدُ﴾، ﴿مُخْلِصًا لَهُ دِينِي﴾ طاعتي وعبادتي. ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ﴾ أمر تهديد ووعيد وتوبيخ؛ كقوله تعالى: ﴿اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت: ٤٠]. وقيل: منسوخة بآية السيف[٢].

قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾ قال ميمون بن مهران عن ابن عباس: ليس من أحد إلا وقد خلق الله له زوجة في الجنة، فإذا دخل النار خسر نفسه وأهله[٣]. وفي رواية عن ابن عباس: فمن عمل بطاعة الله كان له ذلك المنزل والأهل إلا ما كان له قبل ذلك، وهو قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠].

قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ سمى ما تحتهم ظللا؛ لأنها تظل من تحتهم، وهذه الآية نظير قوله تعالى: ﴿لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١] وقوله: ﴿يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥]. ﴿ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادَهُ﴾ قال ابن عباس: أولياءه. ﴿يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ﴾ أي: يا أوليائي فخافون. وقيل: هو عام في المؤمن والكافر. وقيل: خاص بالكفار.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ⁽¹⁷⁾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ⁽¹⁸⁾﴾

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا﴾ قال الأخفش: الطاغوت جمع ويجوز أن تكون واحدة مؤنثة. وقد تقدم. أي: تباعدوا من الطاغوت وكانوا منها على جانب فلم يعبدوها. قال مجاهد وابن زيد: هو الشيطان[٥]. وقال الضحاك والسدي: هو الأوثان[٦]. وقيل: إنه الكاهن. وقيل: إنه اسم أعجمي مثل طالوت وجالوت وهاروت وماروت. وقيل: إنه اسم عربي مشتق من الطغيان، و﴿أَنْ﴾ في موضع نصب بدلا من الطاغوت، تقديره: والذين اجتنبوا عبادة الطاغوت.

---

(١، ٣) لا نسخ هنا، والله أعلم

(٢) كان الأليق أن يقال: لفظ الجلالة.

(٤) إسناد صورته صحيحة.

(٥، ٦) صحيح إليهم: كما عند الطبري (٢٣/ ٢٠٩) في تفسيره، ولم يذكر الأثر هنا عن الضحاك. وإنما ذكره الماوردي (٤/ ١٠) غير مسند، والشوكاني (٦/ ٢٧٧) في فتح القدير.

﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ﴾ أي :رجعوا إلى عبادته وطاعته. ﴿لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾ في الحياة الدنيا بالجنة في العقبى. روي أنها نزلت في عثمان وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير رضي الله عنهم؛ سألوا أبا بكر رضي الله عنه فأخبرهم بإيمانه فآمنوا(١). وقيل: نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل وأبي ذر وغيرهما ممن وحد الله تعالى قبل مبعث النبي ﷺ(٢). وقوله: ﴿فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ قال ابن عباس: هو الرجل يسمع الحسن والقبيح فيتحدث بالحسن وينكف عن القبيح فلا يتحدث به(٣). وقيل: يستمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن. وقيل: يستمعون القرآن وأقوال الرسول فيتبعون أحسنه، أي: محكمه فيعملون به. وقيل: يستمعون عزما وترخيصا فيأخذون بالعزم دون الترخيص. وقيل: يستمعون العقوبة الواجبة لهم والعفو فيأخذون بالعفو. وقيل: إن أحسن القول على من جعل الآية فيمن وحد الله قبل الإسلام (لا إله إلا الله). وقال عبد الرحمن بن زيد: نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل ،وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي، اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها في جاهليتهم، واتبعوا أحسن ما صار من القول إليهم(٤). ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ﴾لما يرضاه. ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ أي: أصحاب العقول من المؤمنين الذين انتفعوا بعقولهم.

## ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴿١٩﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴾كان النبي ﷺ يحرص على إيمان قوم وقد سبقت لهم من الله الشقاوة فنزلت هذه الآية. قال ابن عباس: يريد أبا لهب وولده ومن تخلف من عشيرة النبي ﷺ عن الإيمان(٥). وكرر الاستفهام في قوله: ﴿أَفَأَنتَ﴾تأكيدا لطول الكلام، وكذا قال سيبويه في قوله تعالى: ﴿أَيَعِدُكُمْ أَنَّكُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنَّكُم مُّخْرَجُونَ﴾ [المؤمنون: ٣٥] على ما تقدم. والمعنى: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ أفأنت تنقذه. والكلام شرط وجوابه. وجيء بالاستفهام؛ ليدل على التوقيف والتقرير. وقال الفراء: المعنى أفأنت تنقذ من حقت عليه كلمة العذاب. والمعنى واحد. وقيل: إن في الكلام حذفا والتقدير: أفمن حق عليه كلمة العذاب ينجو منه، وما بعده مستأنف. وقال: ﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ﴾ وقال في موضع آخر: ﴿حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ﴾ [الزمر: ٧١] لأن الفعل إذا تقدم ووقع بينه وبين الموصوف به حائل جاز التذكير والتأنيث، على أن التأنيث هنا ليس بحقيقي بل الكلمة في معنى الكلام والقول؛ أي: أفمن حق عليه قول العذاب.

## ﴿ لَٰكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ۖ وَعْدَ اللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾ ﴾

(١) ذكره الواحدي (ص٣٦٠) في أسباب النزول ، عن عطاء ، عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما .
وذكره البغوي (٧/ ١١٣) في تفسيره ولم يذكرا الطريق إلى عطاء .

(٢) مرسل : هذا قول زيد بن أسلم ولكن في الطريق إليه ابنه وهو ضعيف. الطبري (٢٣/ ٢١٠) في تفسيره ، وابن كثير (٦٦٠/٧) في تفسيره .

(٣) ذكره الشوكاني (٦/ ٢٧٧) في فتح القدير ،ولم يعزه لابن عباس .

(٤) مرسل : وقد سبق .

(٥) هكذا بلا إسناد (٧/ ١١٣) عند البغوي في تفسيره .

قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ﴾لما بين أن للكفار ظلا من النار من فوقهم ومن تحتهم بين أن للمتقين غرفا فوقها غرف؛ لأن الجنة درجات يعلو بعضها بعضا و﴿لَكِنِ﴾ليس للاستدراك؛ لأنه لم يأت نفي كقوله: ما رأيت زيدا لكن عمرا؛ بل هو لترك قصة إلى قصة مخالفة للأولى كقولك: جاءني زيد لكنْ عمرو لم يأت. ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾قال ابن عباس: من زبرجد وياقوت ﴿تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ أي: هي جامعة لأسباب النزهة. ﴿وَعْدَ اللَّهِ﴾ نصب على المصدر؛ لأن معنى ﴿لَهُمْ غُرَفٌ﴾ وعدهم الله ذلك وعدا. ويجوز الرفع بمعنى: ذلك وعد الله. ﴿لَا يُخْلِفُ اللَّهُ الْمِيعَادَ﴾ أي: ما وعد الفريقين.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾ أي: إنه لا يخلف الميعاد في إحياء الخلق، والتمييز بين المؤمن والكافر، وهو قادر على ذلك كما أنه قادر على إنزال الماء من السماء. ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ﴾ أي: من السحاب ﴿مَاءً﴾ أي المطر: ﴿فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ﴾ أي فأدخله في الأرض وأسكنه فيها؛ كما قال: ﴿فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ﴾ [المؤمنون: ١٨]. ﴿يَنَابِيعَ﴾جمع ينبوع وهو يفعول من نَبَعَ يَنْبُعُ وينَبَعُ ويَنْبِعُ بالرفع والنصب والخفض. النحاس: وحكى لنا ابن كيسان في قول الشاعر:

يَنْبَاعُ مِنْ ذِفْرَى غَضُوبٍ جَسْرَةٍ

أن معناه ينبع فأشبع الفتحة فصارت ألفا، نبوعا خرج. والينبوع عين الماء والجمع الينابيع. وقد مضى في «سبحان» (١). ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ ثم يخرج به، أي: بذلك الماء الخارج من ينابيع الأرض ﴿زَرْعًا﴾هو للجنس أي: زروعا شتى لها ألوان مختلفة، حمرة وصفرة وزرقة وخضرة ونورا. قال الشعبي والضحاك: كل ماء في الأرض فمن السماء نزل، إنما ينزل من السماء إلى الصخرة، ثم تقسم منها العيون والركايا (٢). ﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ أي: ييبس. ﴿فَتَرَاهُ﴾ أي: بعد خضرته ﴿مُصْفَرًّا﴾ قال المبرد: قال الأصمعي: يقال هاجت الأرض تهيج: إذا أدبر نبتها وولى. قال: كذلك هاج النبت. قال: وكذلك قال غير الأصمعي. وقال الجوهري: هاج النبت هياجا أي: يبس. وأرض هائجة: يبس بقلها أو اصفر، وأهاجت الريح النبت: أيبسته، وأهيجنا الأرض أي: وجدناها هائجة النبات، وهاج هائجه أي: ثار غضبه، وهدأ هائجه، أي: سكنت فورته. ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا﴾أي: فتاتا مكسرا من تحطم العود: إذا تفتت من اليبس. والمعنى أن من قدر على هذا قدر على الإعادة. وقيل: هو مثل ضربه الله للقرآن، ولصدور من في الأرض، أي: أنزل من السماء قرآنا فسلكه في قلوب المؤمنين ﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ﴾ أي: دينا مختلفا بعضه أفضل من بعض، فأما المؤمن فيزداد إيمانا ويقينا، وأما الذي في قلبه مرض فإنه يهيج كما يهيج الزرع. وقيل: هو مثل ضربه الله للدنيا؛ أي:

(١)عند الآية (٩٠).

(٢) ضعيف إلى الشعبي: الطبري (٢٣/ ٢١١) في تفسيره، وانظر: فتح القدير (٦/ ٢٧٧) للشوكاني، وركايا: ج ركية، وهي البئر.

كما يتغير النبت الأخضر فيصفر كذلك الدنيا بعد بهجتها. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾.

﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ ۚ أُولَٰئِكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ﴾شرح فتح ووسع. قال ابن عباس: وسع صدره للإسلام حتى ثبت فيه[١]. وقال السدي: وسع صدره بالإسلام للفرح به والطمأنينة إليه[٢]؛ فعلى هذا لا يجوز أن يكون هذا الشرح إلا بعد الإسلام؛ وعلى الوجه الأول يجوز أن يكون الشرح قبل الإسلام. ﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ أي: على هدى من ربه. ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم﴾ قال المبرد: يقال قسا القلب إذا صلب، وكذلك عتا وعسا مقاربة لها. وقلب قاس، أي: صلب لا يرق ولا يلين. والمراد بمن شرح الله صدره ها هنا فيما ذكر المفسرون علي وحمزة رضي الله عنهما. وحكى النقاش أنه عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وقال مقاتل: عمار بن ياسر. وعنه أيضا والكلبي: رسول الله ﷺ. والآية عامة فيمن شرح الله صدره بخلق الإيمان فيه. وروى مرة عن ابن مسعود قال: قلنا: يا رسول الله قوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ كيف انشرح صدره ؟ قال: « إذا دخل النور القلب انشرح وانفتح» قلنا: يا رسول الله وما علامة ذلك؟. قال: «الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور ،والاستعداد للموت قبل نزوله»[٣] ،وخرجه الترمذي الحكيم في «نوادر الأصول» من حديث ابن عمر: أن رجلا قال: يا رسول الله، أي المؤمنين أكيس؟ قال: «أكثرهم للموت ذكرا وأحسنهم له استعدادا ،وإذا دخل النور في القلب انفسح واستوسع» قالوا: فما آية ذلك يا نبي الله؟ قال: «الإنابة إلى دار الخلود والتجافي عن دار الغرور ، والاستعداد للموت قبل نزول الموت»[٤] فذكر ﷺ خصالا ثلاثة، ولا شك أن من كانت فيه هذه الخصال فهو الكامل الإيمان، فإن الإنابة إنما هي أعمال البر؛ لأن دار الخلود إنما وضعت جزاء لأعمال البر، ألا ترى كيف ذكره الله في مواضع في تنزيله ثم قال بعقب ذلك ﴿جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الواقعة: ٢٤] فالجنة جزاء الأعمال؛ فإذا انكمش العبد في أعمال البر فهو إنابته إلى دار الخلود، وإذا خمد حرصه عن الدنيا، ولها عن طلبها، وأقبل على ما يغنيه منها فاكتفى به وقنع، فقد تجافى عن دار الغرور. وإذا أحكم أموره بالتقوى فكان ناظرا في كل أمر، واقفا متأدبا متثبتا حذرا يتورع عما يريبه إلى ما لا يريبه، فقد استعد للموت. فهذه علامتهم في الظاهر. وإنما صار هكذا لرؤية الموت، ورؤية صرف الآخرة عن الدنيا، ورؤية الدنيا أنها دار الغرور، وإنما صارت له هذه الرؤية بالنور الذي ولج القلب. وقوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ قيل: المراد أبو لهب وولده؛ ومعنى﴿مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أن قلوبهم تزداد قسوة من سماع ذكره.

---

(١) كذا غير مسند عند الماوردي (٤/ ١٣) في تفسيره .

(٢) صحيح إليه : الطبري (٢٣/ ٣١٣) في تفسيره .

(٣) ضعيف : عزاه الحافظ (ص١٤٣) في الكافي الشافي للثعلبي والحاكم من حديث ابن مسعود ، وقال :« فيه أبو فروة الرهاوي وفيه كلام ».

(٤) ضعيف : الترمذي الحكيم (١/ ١٢٥) في نوادر الأصول .

وقيل: إن ﴿مِن﴾ بمعنى عن، والمعنى: قست عن قبول ذكر الله. وهذا اختيار الطبري[١]. وعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «قال الله تعالى اطلبوا الحوائج من السمحاء فإني جعلت فيهم رحمتي، ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم فإني جعلت فيهم سخطي»[٢]. وقال مالك بن دينار: ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب، وما غضب الله على قوم إلا نزع الرحمة من قلوبهم[٣].

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِىَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ يعني القرآن لما قال: ﴿تُبْعُونَ أَحْسَنَهُ﴾ [الزمر: ١٨] بين أن أحسن ما يسمع ما أنزله الله وهو القرآن. قال سعد بن أبي وقاص: قال أصحاب رسول الله ﷺ: لو حدثتنا فأنزل الله عز وجل: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ فقالوا: لو قصصت علينا فنزل ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] فقالوا: لو ذكرتنا فنزل: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦] الآية[٤]. وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن أصحاب رسول الله ﷺ ملوا ملة فقالوا له: حدثنا فنزلت[٥]. والحديث ما يحدث به المحدث. وسمي القرآن حديثا؛ لأن رسول الله ﷺ كان يحدث به أصحابه وقومه، وهو كقوله: ﴿فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ﴾ [المرسلات: ٥٠]، وقوله: ﴿أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ﴾ [النجم: ٥٩] وقوله: ﴿إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا﴾ [الكهف: ٦] وقوله ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٨٧] وقوله: ﴿فَذَرْنِي وَمَن يُكَذِّبُ بِهَذَا الْحَدِيثِ﴾ [القلم: ٤٤] قال القشيري: وتوهم قوم أن الحديث من الحدوث فيدل على أن كلامه محدث وهو وهم؛ لأنه لا يريد لفظ الحديث على ما في قوله: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن ذِكْرٍ مِّن رَّبِّهِم مُّحْدَثٍ﴾ [الأنبياء: ٢] وقد قالوا: إن الحدوث يرجع إلى التلاوة لا إلى المتلو، وهو كالذكر مع المذكور إذا ذكرنا أسماء الرب تعالى. ﴿كِتَابًا﴾ نصب على البدل من ﴿أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ ويحتمل أن يكون حالا منه. ﴿مُّتَشَابِهًا﴾ يشبه بعضه بعضا في الحسن والحكمة ويصدق بعضه بعضا، ليس فيه تناقض ولا اختلاف. وقال قتادة: يشبه بعضه بعضا في الآي والحروف[٦]. وقيل:

---

(١) انظر تفسير الطبري (٢٣/ ٢١٢).

(٢) موضوع: الهيثمي (٨/ ١٩٥) في المجمع، وعزاه للطبراني في الأوسط، وفيه محمد بن مروان السدي الصغير متروك.

(٣) ذكره البغوي (٧/ ١١٥) في تفسيره.

(٤) صحيح: الحاكم (٢/ ٣٤٥) وصححه ووافقه الذهبي، والطبري (١٢/ ٩٠) في تفسيره.

(٥) رواه الواحدي (ص٢٢٦) في أسباب النزول، عن عون بن عبد الله لا عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٦) صحيح إلى قتادة: الطبري (٢٣/ ٢١٢) في تفسيره.

يشبه كتب الله المنزلـة على أنبيائه؛ لما يتضمنه من أمر ونهي وترغـيب وترهيب وإن كان أعم وأعجز. ﴿مَّثَانِيَ﴾ تثنى فيـه القصص والمواعظ والأحكام وثنى للتـلاوة فلا يمل. ﴿تَقْشَعِرُّ﴾ تضطرب وتتحرك بالخوف مما فيـه من الوعيد. ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ أي: عند آية الرحمـة. وقيل: إلى العمل بكتاب الله والتصديق به. وقيل: ﴿إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يعني الإسلام.

**الثانية:** وعن أسماء بنت أبي بكر الـصديق رضي الله عنهما قالت: كـان أصحاب النبي ﷺ إذا قرئ عليهم القرآن ـ كمـا نعتهم الله ـ تدمع أعينهم ،وتقشعر جلودهم. قـيل لها: فإن أناسا اليوم إذا قرئ عليهم القرآن خر أحدهم مغشـيا عليه. فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم[١]. وقال سعيد بن عبدالرحمن الجـمحي: مر ابن عمر برجل من أهل القرآن ساقط فـقال: ما بال هذا؟ قالوا: إنه إذا قرئ عليـه القرآن وسمع ذكـر الله سقط. فقـال ابن عمر: إنا لـنخشى الله وما نسـقط. ثم قال: إن الشيـطان يدخل في جوف أحـدهم؛ ما كـان هذا صنيع أصحـاب محـمد ﷺ[٢]. وقال عـمر بن عبدالعـزيز: ذكر عند ابن سيرين الذين يصرعـون إذا قرئ عليهم القرآن، فقال: بـيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهـر بيت باسطا رجليه، ثم يـقرأ عليه القـرآن من أوله إلى آخره فإن رمـى بنفسه فـهو صادق[٣]. وقال أبـو عمران الجـوني: وعظ مـوسى عليه السـلام بني إسرائيل ذات يوم فـشق رجل قميـصه، فأوحى الله إلى مـوسى: قل لصاحب القميص: لا يشق قـميصه،فـإني لا أحب المبذرين؛ يشرح لي عن قلبه[٤].

**الثالثة:** وقال زيد بن أسلم: قـرأ أبي بن كعب عند النبي ﷺ ومعه أصـحابه فرقوا فـقال النبي ﷺ: «اغتنموا الدعاء عند الرقـة فإنها رحمة»[٥]. وعن العباس أن رسول الله ﷺ قـال: «إذا اقشعر جلد المؤمن من مخافة الله ؛تحـاتت عنه خطاياه كما يتحات عن الشجرة البـالية ورقها»[٦]. وعن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «ما اقشعر جلد عبد من خشية الله إلا حرمه الله على النار»[٧]. وعن شهـر بن حوشب عن أم الدرداء قـالت: إنما الوجل في قلب الرجل كاحـتراق السـعفة، أمـا تجد إلا قشعريرة ؟ قلت: بلى؛ قالت: فادع الله فـإن الدعاء عند ذلك مستجاب[٨]. وعن ثابت البناني قال: قال فلان: إني لأعلم متى يستجاب لي. قالوا: ومن أين تعلم ذلك؟ قال: إذا اقشعر جلدي، ووجل قلبي، وفاضت عينـاي، فذلك حين يستجاب لي. يقـال: اقشعر جلد الرجل اقشـعرارا فهو مقـشعر

---

(١) كذا عند ابن أبي حاتم (١٢/ ١٤٩) في تفسيره ، وسنده حسن عند ابن المبارك (١/ ٣٥٩) في الزهد .

(٢) ضعيف: فيه سعيد بن عبد الرحمن الجـمحي لم يسمع ابن عمر ، ثم هو صدوق له أوهام كما في التقريب (١/ ٢٣٨) وأفرط ابن حبان في تضعيفه ، وانظر: ابن عطية (١٤/ ٧٧) في المحرر الوجيز.

(٣) انظر السابق .

(٤) خبر من الإسرائيليات .

(٥) ضعيف : وضعفه الألباني (٩٧٩) في ضعيف الجامع .

(٦) ضعيف : الهيـثمي (١٠/ ٣١٠) في المجمع ، وقال: «رواه البزار وفيـه: أم كلثوم بنت العباس لم أعرفـها وبقية رجاله ثقات» .

(٧) فيه شهر بن حوشب : مختلف فيه وقد سبق في سورة البقرة .

(٨) انظر : الدر المنثور ( ٥/ ٣٢٦ ).

والجمع قشاعر فتحذف الميم، لأنها زائدة؛ يقال أخذته قشعريرة. قال امرؤ القيس:

فبتُّ أكابدُ ليلَ التَّمَا م والقَلْبُ مِنْ خَشْيَةٍ مُقْشَعِرُّ

وقيل: إن القرآن لما كان في غاية الجزالة والبلاغة، فكانوا إذا رأوا عجزهم عن معارضته، اقشعرت الجلود منه إعظاما له، وتعجبا من حسن ترصيعه وتهيبا لما فيه؛ وهو كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [الحشر: ٢١] فالتصدع قريب من الاقشعرار، والخشوع قريب من قوله: ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ ومعنى لين القلب: رقته وطمأنينته وسكونه. ﴿ذَٰلِكَ هُدَى اللَّهِ﴾ أي: القرآن هدى الله. وقيل: أي: الذي وهبه الله لهؤلاء من خشية عقابه ورجاء ثوابه هدى الله. ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ أي: من خذله فلا مرشد له. وهو يرد على القدرية وغيرهم. وقد مضى معنى هذا كله مستوفى في غير موضع والحمد لله. ووقف ابن كثير وابن محيصن على قوله: ﴿هاد﴾في الموضعين بالياء، الباقون بغير ياء.

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾ قال عطاء وابن زيد: يرمى به مكتوفا في النار فأول شيء تمس منه النار وجهه[١]. وقال مجاهد: يجر على وجهه في النار[٢]. وقال مقاتل: هو أن الكافر يرمى به في النار مغلولة يداه إلى عنقه، وفي عنقه صخرة عظيمة كالجبل العظيم من الكبريت، فتشتعل النار في الحجر وهو معلق في عنقه، فحرها ووهجها على وجهه؛ لا يطيق دفعها عن وجهه من أجل الأغلال[٣]. والخبر محذوف. قال الأخفش: أي ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ﴾أفضل أم من سعد، مثل: ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ [فصلت: ٤٠]. ﴿وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ﴾ أي: وتقول الخزنة للكافرين: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾أي: جزاء كسبكم من المعاصي. ومثله ﴿هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥].

قوله تعالى: ﴿كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾أي: كذب قبلهم أقوام كانوا أشد من هؤلاء بطشا، وأكثر أموالا وأولادا، وأوسع عيشا، فأهلكتهم كثمود وعاد. ﴿فَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾تقدم معناه. وقال المبرد: يقال لكل ما نال الجارحة من شيء: قد ذاقته، أي: وصل إليها كما تصل الحلاوة والمرارة إلى الذائق لهما. قال: والخزي من المكروه والخزاية من الاستحياء ﴿وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾ أي: مما أصابهم في الدنيا ﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) كذا في تفسير البغوي (٧/ ١١٧) دون عزو.

(٢) صحيح إلى مجاهد: الطبري (٢٣/ ٢١٤) في تفسيره، وزاد السيوطي (٥/ ٦١١) في الدر عزوه إلى عبد بن حميد والفريابي.

(٣) انظر: تفسير البغوي (٧/ ١١٧).

﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٢٧ قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝٢٨ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ أي: من كل مثل يحتاجون إليه؛ مثل قوله تعالى: ﴿ما فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]وقيل: أي ما ذكرناه من إهلاك الأمم السالفة مثل لهؤلاء. ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾يتعظون. ﴿قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ نصب على الحال. قال الأخفش: لأن قوله جل وعز ﴿فِي هَذَا الْقُرْآنِ﴾معرفة. وقال علي بن سليمان: ﴿عَرَبِيًّا﴾نصب على الحال و﴿قُرْآنًا﴾توطئة للحال كما تقول مررت بزيد رجلا صالحا ،فقولك :صالحا هو المنصوب على الحال. وقال الزجاج: ﴿عَرَبِيًّا﴾ منصوب على الحال و﴿قُرْآنًا﴾توكيد. ﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ النحاس: أحسن ما قيل فيه قول الضحاك، قال: غير مختلف[١]. وهو قول ابن عباس[٢]، ذكره الثعلبي. وعن ابن عباس أيضا : غير مخلوق[٣]، ذكره المهدوي ،وقاله السدي[٤] فيما ذكره الثعلبي. وقال عثمان بن عفان: غير متضاد. وقال مجاهد: غير ذي لبس[٥]. وقال بكر بن عبد الله المزني: غير ذي لحن[٦]. وقيل: غير ذي شك. قاله السدي[٧] فيما ذكره الماوردي. قال:

وقد أتاكَ يقينٌ غيرُ ذي عِوجٍ   مِن الإلهِ وقولٌ غيرُ مكذوبِ

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ الكفر والكذب.

﴿ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝٢٩ ﴾

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً رَّجُلاً فيه شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾قال الكسائي: نصب ﴿رَّجُلاً﴾ لأنه ترجمة للمثل وتفسير له، وإن شئت نصبته بنزع الخافض، مجازه: ضرب الله مثلا برجل ﴿فيه شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ﴾ قال الفراء: أي مختلفون. وقال المبرد: أي متعاسرون من شكُس يَشكُس شُكْسا بوزن قفل فهو شكِسٌ مثل عَسُر يَعْسُر عُسْرا فهو عَسر، يقال: رجل شكس وشَرِسٌ وضَرِسٌ وضَبِسٌ. ويقال: رجل ضَبِسٌ وضَبِيسٌ أي: شرس عسر شكس؛ قاله الجوهري. الزمخشري: والتشاكس والتشاخس : الاختلاف. يقال: تشاكست أحواله وتشاخست أسنانه. ويقال: شاكسني فلان، أي: ماكسني وشاحني في حقي. قال الجوهري: رجل شكْسٌ بالتسكين، أي: صعب الخلق. قال الراجز:

شكْسٌ عَبُوسٌ عَنْبَسٌ عَذَوَّرُ

(١)هذا عند النحاس (٤/ ١٠) في إعراب القرآن ،وذكره الشوكاني (٦/ ٨٤) في فتح القدير بلا سند .

(٢)انظر السابق .

(٣) ضعيف :منقطع بين علي بن أبي طلحة ، وابن عباس ، ورواه الأجرى (١٧٢) في الشريعة ، وزاد السيوطي (٥/ ٦١١) في الدر عزوه لابن مردويه والبيهقي ،وانظر: زاد المسير (٥/ ٢٦٤) لابن الجوزي ـ رحمه الله.

(٤)انظر :البغوي (٧/ ١١٧) في تفسيره ، والشوكاني (٦/ ٢٨٤) في فتح القدير .

(٥) صحيح إليه:الطبري (٢٣/ ٢١٥) في تفسيره .

(٦ ، ٧)فتح القدير (٦/ ٢٨٤) للشوكاني.

وقوم شُكْسٌ مثال رَجلٌ صَدْق وقوم صُـدْق. وقد شكسَ بالكسر شكاسة. وحكى الفراء: رجل شَكِسٌ. وهو القياس، وهذا مثل من عبد آلهة كثيرة. ﴿وَرَجُلاً سَلَمًا لِرَجُلٍ﴾ أي: خالصا لسيد واحد، وهو مثل من يعبد الله وحده. ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلاً﴾ هذا الذي يخدم جماعة شركـاء أخلاقهم مختلفة، ونياتهم متبـاينة، لا يلقاه رجل إلا جره واستخدمه؛ فـهو يلقى منهم العناء والنصب والتعب العظيم، وهو مع ذلك كله لا يرضي واحدا منهـم بخدمتـه لكـثـرة الحقـوق في رقبتـه، والذي يخـدم واحـدا لا ينازعه فيه أحـد، إذا أطاعه وحده عرف ذلك له، وإن أخطأ صفح عن خطئه، فأيهـما أقل تعبا أو على هدى مستقـيم. وقرأ أهل الكوفة وأهل المدينة: ﴿وَرَجُلاً سَلَمًا﴾ وقرأ ابن عباس ومـجاهد والحسن وعاصم الجحدري وأبو عمرو وابن كثير ويعقوب: « ورجلا سالما »[1] واختاره أبو عبيد لصحة التفسير فيه. قال: لأن السالم الخالص ضد المشترك، والسلم ضد الحرب ولا موضع للحرب هنا. النحاس: وهذا الاحتجـاج لا يلزم؛ لأن الحرف إذا كان له معنيـان لم يحمل إلا على أولاهما، فـهذا وإن كان السلم ضد الحرب فله موضع آخر؛ كما يقال لك في هذا المنزل شركاء فصار سلما لك. ويلزمه أيضا في سالم ما ألزم غيره؛ لأنه يقال شيء سالم ،أي: لا عاهـة به. والقراءتان حسنتان قرأ بهما الأئمة. واختار أبو حاتم قراءة أهل المدينة: ﴿سَلَمًا﴾ قال: وهذا الذي لا تنازع فيه. وقرأ سعـيد بن جبير وعكرمة وأبو العالية ونصر: «سِـلْما » بكسر السين وسكون اللام. وسَلَما وسِلْما مصـدران؛ والتقدير: ورجلا ذا سلم فحذف المضاف و﴿مَثَلاً﴾ صفة على التمييز، والمعنى هل تستوي صـفاتهما وحالاهما. وإنما اقتصر في التمييز على الواحد لبيان الجنس. ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ﴾ أي: لا يعلمون الحق فيتبعونه.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ۝﴾

قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ قرأ ابن محيصن وابن أبي عـبلة وعيسى بن عمر وابن أبي إسحاق : « إنك مائت وإنهم مائتون »وهي قراءة حسنة وبـها قرأ عبد الله بن الزبير. النحاس: ومثل هذه الألف تحذف في الشواذ و«مائت» في المسـتقبل كثير في كلام العرب؛ ومثـله ما كان مريضا وإنه لمارض من هذا الطعام. وقال الحسن والفراء والكسائي: الميت بالتشديد من لم يمت وسيموت، والميت بالتخـفيف: من فارقتـه الروح؛ فلذلك لم تخفف هنا[2]. قال قـتادة: نعيت إلى النبي ﷺ نفسه، ونعيت إليكـم أنفسكم[3]. وقال ثابت السبناني: نعى رجل إلى صلة بن أشيم أخـا له فوافـقه يأكل، فقـال: ادن فكل فقـد نعي إلي أخي منذ حين؛ قال: وكـيف وأنا أول من أتاك بالخبـر؟ قال: إن الله تعالى نعاه إلي فـقال: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾[4]. وهو خطاب للنبي ﷺ أخـبره بموته ومـوتهم؛ فاحتمل خمسة أوجه: أحدها: أن يـكون ذلك تحذيرا من الآخرة الثاني: أن يذكره حثا على العمل. الثالث: أن يذكره توطئة للموت. الرابع: لئلا يختلفوا في موته كما اختلفت الأمم في غيره، حتى أن عمر رضي الله عنه لما أنكر موته احتج أبو بكر رضي الله عنه بهذه الآية فأمسك. الخامس: ليعلمه أن

(١) قراءة متواترة : تقريب النشر (ص١٦٨) .
(٢) عزاه السيوطي (٥/ ٦١٣) في الدر لعبد بن حميد .
(٣) لم أجده هكذا .
(٤) سبق تخريجه .

الله تعالى قد سوى فيه بين خلقه مع تفاضلهم في غيره؛ لتكثر فيه السلوة وتقل فيه الحسرة.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ يعني تخاصم الكافر والمؤمن والظالم والمظلوم؛ قاله ابن عباس[١] وغيره. وفي خبر فيه طول: إن الخصومة تبلغ يوم القيامة إلى أن يحاج الروح الجسد[٢]. وقال الزبير: لما نزلت هذه الآية قلنا: يا رسول الله، أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: «نعم ليكررن عليكم حتى يؤدى إلى كل ذي حق حقه» فقال الزبير: والله إن الأمر لشديد[٣]. وقال ابن عمر: لقد عشنا برهة من دهرنا ونحن نرى هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتابين: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ فقلنا: وكيف نختصم ونبينا واحد ودیننا واحد، حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف؛ فعرفت أنها فينا نزلت[٤]. وقال أبو سعيد الخدري: كنا نقول: ربنا واحد ودیننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة؟ فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا نعم هو هذا[٥]. وقال إبراهيم النخعي: لما نزلت هذه الآية جعل أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: ما خصومتنا بيننا؟[٦]، فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا: هذه خصومتنا بيننا. وقيل: تخاصمهم هو تحاكمهم إلى الله تعالى، فيستوفي من حسنات الظالم بقدر مظلمته، ويردها في حسنات من وجبت له. وهذا عام في جميع المظالم كما في حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون من المفلس؟» قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» خرجه مسلم[٧]. وقد مضى المعنى مجودا في «آل عمران»[٨] وفي البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «من كانت له مظلمة لأحد من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل ألا يكون دينار ولا درهم إن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه»[٩]، وفي الحديث المسند: «أول ما تقع الخصومات في الدنيا»[١٠] وقد ذكرنا هذا الباب كله في «التذكرة» مستوفى.

---

(١) ضعيف: للانقطاع بين علي بن أبي طلحة وابن عباس كما عند الطبري (٢٣/ ٢١٨) في تفسيره.

(٢) ضعيف: وقد سبق وعزاه السيوطي (٥/ ٦١٤) لابن منده عن ابن عباس، وكذا قال ابن كثير (٧/ ٧٢) وعزاه لابن منده في الروح.

(٣) صحيح: الترمذي (٣٢٣٦) في التفسير وصححه ووافقه الألباني، ورواه الحاكم (٢/ ٢٧٢) في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي.

(٤) صحيح: النسائي (١١٤٤٧) في الكبرى، وأبو عمرو الداني (١/ ٢١٦) في السنن الواردة في الفتن.

(٥) عزاه السيوطي (٥/ ٦١٤) في الدر لسعيد بن منصور.

(٦) صحيح وهو مرسل: الطبري (٢٣/ ٢١٨) في تفسيره.

(٧) صحيح: مسلم (٢٥٨١) في البر والصلة، والترمذي (٢٤١٨) في صفة القيامة.

(٨) عند الآية (١٦٩).

(٩) صحيح: وقد سبق.

(١٠) رواه ابن المبارك (١/ ١١٥) بسند حسن عن عبد الله بن مسعود ـ رضي الله عنه موقوفًا وفيه عاصم بن أبي بهدلة وهو صدوق له أوهام.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾ لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ﴾ أي: لا أحد أظلم ﴿مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ فزعم أن له ولدا وشريكا ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ﴾ يعني القرآن ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ﴾ استفهام تقرير ﴿مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ أي: مقام للجاحدين، وهو مشتق من ثوى بالمكان: إذا أقام به يثوي ثواء وثُويا مثل مَضى مَضاء ومضيا، ولو كان من أثوى لكان مُثوى. وهذا يدل على أن ثوى هي اللغة الفصيحة. وحكى أبو عبيد: أثوى، وأنشد قول الأعشى:

أثْوَى وقَصَّر لَيْلَةً لِيُزَوَّدَا ... وَمَضَى وأَخْلَفَ مِنْ قُتَيْلَةَ مَوْعِدَا

والأصمعي لا يعرف إلا ثوى، ويروى البيت: أثوى على الاستفهام. وأثويت غيري، يتعدى ولا يتعدى.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ في موضع رفع بالابتداء وخبره ﴿وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ واختلف في الذي جاء بالصدق وصدق به؛ فقال علي رضي الله عنه ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ النبي ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ أبو بكر رضي الله عنه[1]. وقال مجاهد: النبي عليه السلام وعلي رضي الله عنه[2]. السدي: الذي جاء بالصدق جبريل والذي صدق به محمد ﷺ[3]. وقال ابن زيد ومقاتل وقتادة: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ النبي ﷺ ﴿وَصَدَّقَ بِهِ﴾ المؤمنون[4]. واستدلوا على ذلك بقوله: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ﴾ كما قال: ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢]. وقال النخعي ومجاهد[5] ﴿الَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ المؤمنون الذين يجيؤون بالقرآن يوم القيامة فيقولون: هذا الذي أعطيتمونا قد اتبعنا ما فيه؛ فيكون ﴿الَّذِي﴾ على هذا بمعنى جمع كما تكون من بمعنى جمع. وقيل: بل حذفت منه النون لطول الاسم، وتأول الشعبي على أنه واحد. وقال: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ﴾ محمد ﷺ فيكون على هذا خبره جماعة؛ كما يقال لمن يعظم: هو فعلوا، وزيد فعلوا كذا وكذا. وقيل: إن ذلك عام في كل من دعا إلى توحيد الله عز وجل؛ قاله ابن عباس[6] وغيره، واختاره الطبري. وفي قراءة ابن مسعود: «والذي جاؤوا بالصدق وصدقوا به» وهي قراءة على التفسير. وفي قراءة أبي صالح الكوفي: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾ مخففا على معنى: وصدق بمجيئه به، أي: صدق في طاعة الله عز وجل، وقد مضى في

(١) ضعيف جدًا بل باطل: الطبري (٢٤/ ٣) في تفسيره، وفي إسناده عمر بن إبراهيم بن خالد: متهم بالكذب، المغني في الضعفاء (٢/ ٤٦٢).

(٢ ـ ٤) أسانيدها صحاح إلى أصحابها: الطبري (٤/ ٣، ٤) في تفسيره.

(٥، ٦) زاد المسير (٥/ ٢٦٦) لابن الجوزي، والطبري (٢٤/ ٤) في تفسيره، وأثر ابن عباس عند الطبري منقطع بينه وبين ابن أبي طلحة.

«البقرة»[١] الكلام في ﴿الَّذي﴾ وأنه يكون واحدا ويكون جمعا. ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ أي: من النعيم في الجنة، كما يقال: لك إكرام عندي؛ أي: ينالك مني ذلك. ﴿ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ﴾ الثناء في الدنيا والثواب في الآخرة.

قوله تعالى: ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾ أي: صدّقوا ﴿لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ﴾. ﴿أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا﴾ أي: يكرمهم ولا يؤاخذهم بما عملوا قبل الإسلام. ﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم﴾ أي: يثيبهم على الطاعات في الدنيا ﴿بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ وهي الجنة.

﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ ۚ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ حذفت الياء من «كاف» لسكونها وسكون التنوين بعدها؛ وكان الأصل ألا تحذف في الوقف لزوال التنوين، إلا أنها حذفت ليعلم أنها كذلك في الوصل. ومن العرب من يثبتها في الوقف على الأصل فيقول: كافي. وقراءة العامة: ﴿عَبْدَهُ﴾ بالتوحيد يعني محمدا ﷺ يكفيه الله وعيد المشركين وكيدهم. وقرأ حمزة والكسائي: «عباده»[٢] وهم الأنبياء أو الأنبياء والمؤمنون بهم. واختار أبو عبيدة قراءة الجماعة لقوله عقيبه: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾. ويحتمل أن يكون العبد لفظ الجنس؛ كقوله عز من قائل: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ﴾ [العصر: ٢] وعلى هذا تكون القراءة الأولى راجعة إلى الثانية. والكفاية شر الأصنام، فإنهم كانوا يخوفون المؤمنين بالأصنام، حتى قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ﴾ [الأنعام: ٨١]. وقال الجرجاني: إن الله كاف عبده المؤمن وعبده الكافر، هذا بالثواب وهذا بالعقاب.

قوله تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِالَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ وذلك أنهم خوفوا النبي ﷺ مضرة الأوثان، فقالوا: أتسب آلهتنا؟ لئن لم تكف عن ذكرها لتخبلنك أو تصيبنك بسوء. وقال قتادة: مشى خالد بن الوليد إلى العزى ليكسرها بالفأس. فقال له سادنها: أحذركها يا خالد، فإن لها شدة لا يقوم لها شيء، فعمد خالد إلى العزى فهشم أنفها حتى كسرها بالفأس. وتخويفهم لخالد تخويف للنبي ﷺ؛ لأنه الذي وجه خالدا[٣]. ويدخل في الآية تخويفهم النبي ﷺ بكثرة جمعهم وقوتهم؛ كما قال: ﴿أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [القمر: ٤٤]، ﴿وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ تقدم. ﴿وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِي انتِقَامٍ﴾ أي: ممن عاداه أو عادى رسله.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾

(١) عند الآية (١٧).

(٢) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٦٨).

(٣) سبق تخريجه. وهذا مرسل، ورواه الطبري (٢٤/ ٦) في تفسيره.

مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ أي ولئن سألتهم يا محمد ﴿مَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ بين أنهم مع عبادتهم الأوثان مقرون بأن الخالق هو الله، وإذا كان الله هو الخالق فكيف يخوفونك بآلهتهم التي هي مخلوقة لله تعالى، وأنت رسول الله الذي خلقها وخلق السموات والأرض؟ ﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ أي قل لهم يا محمد بعد اعترافهم بهذا ﴿أفرأيتم ما تدعون من دون الله﴾ ﴿إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ﴾ بشدة وبلاء ﴿هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ يعني هذه الأصنام ﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ نعمة ورخاء ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ قال مقاتل: فسألهم النبي ﷺ فسكتوا. وقال غيره: قالوا لا تدفع شيئا قدره الله ولكنها تشفع. فنزلت: ﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ ترك الجواب لدلالة الكلام عليه؛ يعني فسيقولون لا أي لا تكشف ولا تمسك فـ ﴿قل﴾ أنت ﴿حسبي الله﴾ أي عليه توكلت أي اعتمدت و﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ يعتمد المعتمدون. وقد تقدم الكلام في التوكل[1]. وقرأ نافع وابن كثير والكوفيون ما عدا عاصما «كاشفات ضره» بغير تنوين. وقرأ أبو عمرو وشيبة وهي المعروفة من قراءة الحسن وعاصم «هل هن كاشفات ضره». «ممسكات رحمته» بالتنوين[2] على الأصل وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم؛ لأنه اسم فاعل في معنى الاستقبال، وإذا كان كذلك كان التنوين أجود. قال الشاعر:

الضاربون عميرا عن بيوتهم ... بالليل يوم عمير ظالم عادي

ولو كان ماضيا لم يجز فيه التنوين، وحذف التنوين على التحقيق، فإذا حذفت التنوين لم يبق بين الاسمين حاجز فخفضت الثاني بالإضافة. وحذف التنوين كثير في كلام العرب موجود حسن؛ قال الله تعالى: ﴿هَدْيًا بَالِغَ الْكَعْبَةِ﴾ [المائدة] وقال: ﴿إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ﴾ [القمر: ٢٧] قال سيبويه: ومثل ذلك ﴿غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ﴾ [المائدة: ١] وأنشد سيبويه:

هل أنتَ باعثُ دينارٍ لحاجتِنا ... أو عَبْدَ رَبٍّ أخا عَوْنِ بنِ مِخْرَاقِ

وقال النابغة:

احْكُمْ كَحُكْمِ فتاة الْحَيِّ إِذْ نَظَرَتْ ... إِلَى حَمَامٍ شِرَاعٍ وَارِدِ الثَّمَدِ

معناه: وارد الثمد، فحذف التنوين؛ مثل: ﴿كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾.

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ﴾ أي: على مكانتي، أي: على جهتي التي تمكنت عندي ﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾. وقرأ أبو بكر بالجمع: «مكاناتكم»[3]. وقد مضى في «الأنعام». ﴿مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ أي: يهينه ويذله، أي: في الدنيا وذلك بالجوع والسيف. ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ أي: في الآخرة. ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ تقدم الكلام في هذه الآية مستوفي في غير موضع.

---

(١) عند الآية (١٢٢) في سورة آل عمران.

(٢) قراءة متواترة: كما في تقريب النشر (ص١٦٨)

(٣) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٦٨).

﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾

**فيه أربع مسائل:**

**الأولى:** قوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ أي: يقبضها عند فناء آجالها ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ اختلف فيه. فقيل: يقبضها عن التصرف مع بقاء أرواحها في أجسادها ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ وهي النائمة فيطلقها بالتصرف إلى أجل موتها؛ قاله ابن عيسى. وقال الفراء: المعنى ويقبض التي لم تمت في منامها عند انقضاء أجلها. قال: وقد يكون توفيها نومها؛ فيكون التقدير على هذا: والتي لم تمت وفاتها نومها. وقال ابن عباس وغيره من المفسرين: إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله منها، فإذا أراد جميعها الرجوع إلى الأجساد أمسك الله أرواح الأموات عنده، وأرسل أرواح الأحياء إلى أجسادها[١]. وقال سعيد بن جبير: إن الله يقبض أرواح الأموات إذا ماتوا، وأرواح الأحياء إذا ناموا، فتتعارف ما شاء الله أن تتعارف ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ﴾ أي: يعيدها[٢]. قال علي رضي الله عنه: فما رأته نفس النائم وهي في السماء قبل إرسالها إلى جسدها فهي الرؤيا الصادقة، وما رأته بعد إرسالها وقبل استقرارها في جسدها تلقيها الشياطين، وتخيل إليها الأباطيل فهي الرؤيا الكاذبة[٣]. وقال ابن زيد: النوم وفاة والموت وفاة[٤]. وعن النبي ﷺ قال: «كما تنامون فكذلك تموتون، وكما توقظون فكذلك تبعثون»[٥]. وقال عمر: النوم أخو الموت[٦]. وروي مرفوعا من حديث جابر بن عبد الله قيل: يا رسول الله، أينام أهل الجنة؟ قال: «لا، النوم أخو الموت والجنة لا موت فيها»[٧] خرجه الدارقطني. وقال ابن عباس: «في ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع الشمس، فالنفس التي بها العقل والتمييز، والروح التي بها النفس والتحريك، فإذا نام العبد قبض الله نفسه ولم يقبض روحه[٨]. وهذا قول ابن الأنباري والزجاج. قال القشيري أبو نصر: وفي هذا بعد إذ المفهوم من الآية أن النفس المقبوضة في الحال شيء واحد؛ ولهذا قال: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾

---

(١) انظر الأقوال كلها عند الطبري (٢٤/ ٩) في تفسيره عدا قول ابن عباس.
وأثر ابن عباس صحيح: الهيثمي (٧/ ١٠٠) في المجمع وعزاه للطبراني ورجاله رجال الصحيح، وانظر: العظمة (٣/ ٩٠٧).

(٢) صحيح إليه: الطبري (٢٤/ ٩) في تفسيره.

(٣) ذكره الطبري (٢٤/ ٩) لكن دون عزو، ولم أجده مسندًا إلا بنحوه عند ابن أبي حاتم (١٢/ ١٥٤) في تفسيره من طريق سليم بن عامر وصورة الإسناد صحيحة.

(٤) صحيح إليه: الطبري (٢٤/ ٩).

(٥) لم أجده بهذا اللفظ، وقد سبق بنحوه.

(٦، ٧) صحيح مرفوع: وصححه الألباني (٦٨٠٨) في صحيح الجامع، عن جابر بن عبد الله ـ رضي الله عنهما ـ وعزاه للطبراني في الأوسط والبزار، ورجاله رجال الصحيح.

(٨) ذكره البغوي (٧/ ١٢٢) في تفسيره لعلي ـ رضي الله عنه.

فإذاً يقبض الله الـروح في حالين في حالة النوم ،وحالة الموت، فمـا قبضه في حال الـنوم فمعناه أنه يغمره بما يحبسـه عن التصرف فكأنه شيء مقبوض، وما قبضـه في حال الموت فهو يمسكه ولا يرسله إلى يوم القيامة. وقوله: ﴿وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ﴾ أي: يزيل الحابس عنه فيعود كـما كان. فتوفي الأنفس في حال النوم بإزالة الحس وخلـق الغفلة والآفة في مـحل الإدراك. وتوفيها فـي حالة الموت بخلق الموت وإزالة الحس بالكلية. ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ بألا يخلق فيـها الإدراك كيف وقد خلق فـيها الموت؟ ﴿وَيُرْسِلُ الأُخْرَىٰ﴾ بأن يعيد إليها الإحساس.

**الثانية:** وقد اختلف الناس من هذه الآية في النفس والروح: هل هما شيء واحد أو شيئان على ما ذكـرنا. والأظهر أنهـما شيء واحـد، وهو الذي تدل عليه الآثار الصـحاح على ما نـذكره في هذا البـاب. من ذلك حـديث أم سلمـة قالت: دخل رسـول الله ﷺ على أبـي سلمة وقـد شق بصـره فأغمـضه، ثم قال: «إن الروح إذا قبض تبعـه البصر»[١] ،وحديث أبي هريرة قـال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تروا الإنسـان إذا مات شـخص بصره» قـال: «فذلك حين يتـبع بصره نفـسه» خـرجهـما مسلم[٢]. وعنه عن النبي ﷺ قال: «تحضر الملائكة فإذا كان الرجل صالحا قالوا: اخرجي أيتها النفس الطيبة كانت في الجسد الطيب، اخرجي حميدة ،وأبشري بروح وريحان ورب راض غير غضبان، فلا يزال يقال لها ذلك حتى تخرج ثم يعرج بها إلى السماء. . .»[٣] وذكر الحديث وإسناده صحيح خرجه ابن ماجة؛ وقد ذكرناه في التذكـرة. وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة قال: «إذا خرجت روح المؤمن تلقاها ملكان يصعدان بها. .» وذكر الحديث[٤]. وقال بلال في حديث الوادي: أخذ بنفسي يا رسول الله الذي أخذ بـنفسك[٥]. وقـال رسول الله ﷺ مـقابلا له في حـديث زيد بن أسلم في حـديث الوادي: «يا أيها الناس إن الله قبض أرواحنا، ولو شاء ردها إلينا في حين غير هذا»[٦].

**الثالثة:** والصحيح فيه أنه جـسم لطيف مشابك للأجسام المحسوسة، يـجذب ويخرج وفي أكفانه يلف ويدرج، وبه إلى السمـاء يعرج، لا يموت ولا يفنى،وهو مما له أول وليس له آخـر، وهو بعينين ويدين، وأنه ذو ريح طيبـة وخبيـثة؛ كمـا في حديث أبي هريرة[٧]. وهذه صفـة الأجسام لا صـفة الأعراض؛ وقد ذكرنا الأخبار بهذا كله في كتـاب التذكرة بأحوال الموتى وأمور الآخرة. وقال تعالى: ﴿فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣] يعني النفس إلى خروجها من الجـسد؛ وهذه صفة الجسم. والله أعلم.

**الرابعة:** خرج البخاري ومسلم من حـديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إذا أوى أحدكم

---

(١) صحيح : مسلم (٩٢٠) في الجنائز .
(٢) صحيح: سبق عند مسلم في الجنائز .
(٣) صحيح : النسائي (١١٤٢) في الكبرى ،وابن ماجه (٤٢٦٢) في الزهد، وصححه الألباني .
(٤) صحيح : مسلم (٢٨٧٢) في الجنة وصفة نعيمها .
(٥) صحيح : مسلم (٦٨٠/ ٣٠٩) في المساجد ومواضع الصلاة ، عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه .
(٦) مرسل : مالك (١/ ١٤) في وقوت الصلاة .
(٧) صحيح : سبق تخريجه .

إلى فراشه فليأخذ داخلة إزاره فلينفض بها فراشه، وليُسم الله، فإنه لا يعلم ما خلفه بعد على فراشه، فإذا أراد أن يضطجع فليضطجع على شقه الأيمن وليقل: سبحانك ربي وضعت جنبي، وبك أرفعه ،إن أمسكت نفسي فاغفر لها »[١]. وقال البخاري وابن ماجة والترمذي: «فارحمها» بدل «فاغفر لها» «وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين» زاد الترمذي «وإذا استيقظ فليقل: الحمد لله الذي عافاني في جسدي ورد علي روحي وأذن لي بذكره»[٢]. وخرج البخاري عن حذيفة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل وضع يده تحت خده؛ ثم يقول: «اللهم باسمك أموت وأحيا » وإذا استيقظ قال: (الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور»[٣].

قوله تعالى: ﴿فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ﴾ هذه قراءة العامة على أنه مسمى الفاعل ﴿الْمَوْتَ﴾ نصبا؛ أي قضى الله عليها وهو اختيار أبي حاتم وأبي عبيد؛ لقوله في أول الآية: ﴿الله يتوفى الأنفس﴾ فهو يقضي عليها. وقرأ الأعمش ويحيى بن وثاب وحمزه والكسائي: «قُضي عليها الموت»على ما لم يسم فاعله[٤]. النحاس: والمعنى واحد غير أن القراءة الأولى أبين وأشبه بنسق الكلام؛ لأنهم قد أجمعوا على: ﴿وَيُرْسِلُ﴾ ولم يقرؤوا : «ويُرْسَلَ». وفي الآية تنبيه على عظيم قدرته وانفراده بالألوهية، وأنه يفعل ما يشاء، ويحيي ويميت، لا يقدر على ذلك سواه. ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ يعني في قبض الله نفس الميت والنائم، وإرساله نفس النائم وحبسه نفس الميت. وقال الأصمعي :سمعت معتمرا يقول: روح الإنسان مثل كبة الغزل[٥]، فترسل الروح، فيمضى ثم تمضى ثم تطوى فتجيء فتدخل؛ فمعنى الآية أنه يرسل من الروح شيء في حال النوم ومعظمها في البدن متصل بما يخرج منها اتصالا خفيا، فإذا استيقظ المرء جذب معظم روحه ما انبسط منها فعاد. وقيل غير هذا؛ وفي التنزيل: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥] أي: لا يعلم حقيقته إلا الله. وقد تقدم في «سبحان»[٦].

﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ﴾ أي بل اتخذوا يعني الأصنام وفي الكلام ما يتضمن لم؛ أي : ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ لم يتفكروا ولكنهم اتخذوا آلهتهم شفعاء. ﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا﴾أي : قل لهم يا محمد : أتتخذونهم شفعاء وإن كانوا لا يملكون شيئا من الشفاعة

(١) متفق عليه : البخاري (٦٣٢٠) في الدعوات ،ومسلم (٢٧١٤) في الذكر والدعاء .
(٢) صحيح: الترمذي (٣٤٠١) في الدعوات ،وصححه الألباني.
(٣) صحيح : البخاري (٦٣١٢) في الدعوات .
(٤) قراءة متواترة : تقريب النشر (ص١٦٨) .
(٥) كبة الغزل : ما جمع منه اللسان « كبب».
(٦) عند الآية (٨٥)

﴿ وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ لأنها جمادات. وهذا استفهام إنكار. ﴿قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا﴾ نص في أن الشفاعة لله وحده كما قال: ﴿مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فلا شافع إلا من شفاعته ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: ٢٨]. ﴿ جَمِيعًا﴾ نصب على الحال. فإن قيل: ﴿ جَمِيعًا﴾ إنما يكون للاثنين فصاعدا والشفاعة واحدة. فالجواب أن الشفاعة مصدر والمصدر يؤدي عن الاثنين والجمع: ﴿لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ﴾ نصب على المصدر عند الخليل وسيبويه، وعلى الحال عند يونس. ﴿اشْمَأَزَّتْ﴾ قال المبرد: انقبضت. وهو قول ابن عباس ومجاهد[١]. وقال قتادة: نفرت واستكبرت وكفرت وتعصت[٢]. وقال المؤرج: أنكرت. وأصل الاشمئزاز النفور والازورار. قال عمرو ابن كلثوم:

إذا عَضَّ الثِّقَافُ بِها اشْمَأَزَّتْ وَوَلَّتْهُم عَشُوزَنَةً زَبُونَا

وقال أبو زيد: اشمأز الرجل: ذعر من الفزع وهو المذعور. وكان المشركون إذا قيل لهم: لا إله إلا الله نفروا وكفروا. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ﴾ يعني الأوثان حين ألقى الشيطان في أمنية النبي ﷺ عند قراءته سورة «النجم» :تلك الغرانيق العلى وإن شفاعتهم ترتجى[٣]. قاله جماعة المفسرين. ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ أي: يظهر في وجوههم البشر والسرور.

﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِى مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾ نصب لأنه نداء مضاف وكذا ﴿عَالِمَ الْغَيْبِ﴾ولا يجوز عند سيبويه أن يكون نعتا. ﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ وفي صحيح مسلم عن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف قال: سألت عائشة رضي الله عنها بأي شيء كان النبي ﷺ يستفتح صلاته إذا قام من الليل؟ قالت: كان إذا قام من الليل افتتح صلاته «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل : ﴿ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك ،إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[٤]. ولما بلغ الربيع بن خثيم قتل الحسين بن علي رضي الله عنهم قرأ: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾. وقال سعيد بن جبير: إني لأعرف آية ما قرأها أحد قط فسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه، قوله تعالى: ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا

(١، ٢) تفسير البغوي (٧/ ١٢٣) غير مسند .

(٣) سبق أن هذه القصة موضوعة منحولة لا يجوز ذكرها .

(٤) صحيح : مسلم (٧٧٠) في صلاة المسافرين .

كانوا فيه يختلفون ﴾[١] .

قوله تعالى: ﴿ولو أن للذين ظلموا﴾ أي: كذبوا وأشركوا ﴿ما في الأرض جميعا ومثله معه لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة﴾ أي من سوء عذاب ذلك اليوم. وقد مضى هذا في سورة «آل عمران»[٢] و«الرعد»[٣]. ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ من أجل ما روي فيه ما رواه منصور عن مجاهد قال: عملوا أعمالا توهموا أنها حسنات فإذا هي سيئات[٤]. وقاله السدي. وقيل: عملوا أعمالا توهموا أنهم يتوبون منها قبل الموت فأدركهم الموت قبل أن يتوبوا، وقد كانوا ظنوا أنهم ينجون بالتوبة[٥]. ويجوز أن يكونوا توهموا أنه يغفر لهم من غير توبة فـ ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ من دخول النار. وقال سفيان الثوري في هذه الآية: ويل لأهل الرياء، ويل لأهل الرياء، هذه آيتهم وقصتهم[٦]. وقال عكرمة بن عمار: جزع محمد بن المنكدر عند موته جزعا شديدا، فقيل له: ما هذا الجزع؟ قال: أخاف آية من كتاب الله: ﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾ فأنا أخشى أن يبدو لي ما لم أكن أحتسب[٧]. ﴿وبدا لهم﴾ أي: ظهر لهم ﴿سيئات ما كسبوا﴾ أي: عقاب ما كسبوا من الكفر والمعاصي. ﴿وحاق بهم﴾ أي: أحاط بهم ونزل ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾.

﴿ فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَـٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ ۚ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَـٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿فإذا مس الإنسان ضر دعانا﴾ قيل: إنها نزلت في حذيفة بن المغيرة[٨]. ﴿ثم إذا خولناه نعمة منا قال إنما أوتيته على علم﴾ قال قتادة: ﴿على علم﴾ عندي بوجوه المكاسب[٩]، وعنه أيضا «على علم» على خير عندي. وقيل: ﴿على علم﴾ أي: على علم من الله بفضلي. وقال الحسن: ﴿على علم﴾ أي: بعلم علمني الله إياه. وقيل: المعنى أنه قال قد علمت أني إذا أوتيت هذا في الدنيا أن لي عند الله منزلة؛ فقال الله: ﴿بل هي فتنة﴾ أي: بل النعم التي أوتيتها فتنة تختبر بها. قال الفراء: أنث ﴿هي﴾ لتأنيث الفتنة، ولوكان بل هو فتنة لجاز. النحاس: التقدير بل أعطيته فتنة. ﴿ولكن أكثرهم لا يعلمون﴾ أي: لا يعلمون أن إعطاءهم المال اختبار.

---

(١) لم أجده هكذا .

(٢) عند الآية (٩١) (٣) عند الآية (١٨) .

(٤ ـ ٦) فتح القدير (٦/ ٢٩٣) للشركاني .

(٧) عكرمة هذا حدّث عنه مسلم ، لكن تركه البخاري إذا لم يكن عنده كتاب يحدث منه وهنا حدث اختلاط عنده ، والله أعلم . وقد وثقه أحمد وابن معين ، كما في ( مَنْ تُكلِّم فيه ) (١/ ١٣٧)، وانظر: فتح القدير (٦/ ٢٩٣) للشوكاني .

(٨) ضعيف : أرسله مقاتل كما في زاد المسير (٥/ ٢٧٢) لابن الجوزي .

(٩) ذكره الطبري (٢٤/ ١٢) ، عن قتادة ـ رحمه الله ـ وهو غير مسند عند الشوكاني (٦/ ٢٩٤) في فتح القدير .

قوله تعالى: ﴿قَدْ قَالَهَا﴾ أنث على تأنيث الكلمة. ﴿الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ يعني الكفار قبلهم كقارون وغيره حيث قال ﴿إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِي﴾. ﴿فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ ﴿مَّا﴾ للجحد، أي: لم تغن عنهم أموالهم ولا أولادهم من عذاب الله شيئا. وقيل: أي فما الذي أغنى أموالهم؟ فـ ﴿مَّا﴾ استفهام. ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي: جزاء سيئات أعمالهم. وقد يسمى جزاء السيئة سيئة. ﴿وَالَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: أشركوا ﴿مِنْ هَٰؤُلَاءِ﴾ الأمة ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا﴾ أي: بالجوع والسيف. ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ أي: فائتين الله ولا سابقيه. وقد تقدم.

قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ خص المؤمن بالذكر؛ لأنه هو الذي يتدبر الآيات وينتفع بها. ويعلم أن سعة الرزق قد يكون مكرا واستدراجا، وتقتيره رفعة وإعظاما.

﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ وإن شئت حذفت الياء؛ لأن النداء موضع حذف. النحاس: ومن أجل ما روي فيه ما رواه محمد بن إسحاق عن نافع عن ابن عمر عن عمر قال: لما اجتمعنا على الهجرة، أتعدت أنا وهشام بن العاص بن وائل السهمي، وعياش ابن أبي ربيعة بن عتبة، فقلنا: الموعد أضاة [1] بني غفار، وقلنا: من تأخر منا فقد حبس فليمض صاحبه. فأصبحت أنا وعياش بن عتبة وحبس عنا هشام، وإذا به قد فتن فافتتن، فكنا نقول بالمدينة: هؤلاء قد عرفوا الله عز وجل وآمنوا برسوله ﷺ، ثم افتتنوا لبلاء لحقهم لا نرى لهم توبة، وكانوا هم أيضا يقولون هذا في أنفسهم، فأنزل الله عز وجل في كتابه: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ قال عمر: فكتبتها بيدي ثم بعثتها إلى هشام. قال هشام: فلما قدمت علي خرجت بها إلى ذي طوى فقلت: اللهم فهمنيها فعرفت أنها نزلت فينا، فرجعت فجلست على بعيري فلحقت برسول الله ﷺ[2]. وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: كان قوم من المشركين قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، فقالوا للنبي ﷺ أو بعثوا إليه: إن ما

(١) الأضاة: الغدير، وهو مسيل الماء إلى الغدير المتصل بالغدير، وقيل: الماء المستنقع من سيل أو غيره، اللسان «أضا».

(٢) حسن: هذا قد عنعنه ابن إسحاق، ورواه الطبري (٢٤/ ١٥) في تفسيره.

قلت: لكن رواه ابن اسحاق (١/ ٤٢٣، ٤٢٤) في السيرة مطولاً مصرحًا فيه بالسماع كما عند البزار ورجاله كذا ثقات كما في المجمع (٦/ ٦١) للهيثمي.

تدعو إليه لحسن أو تخبرنا أن لنا توبة؟ فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ ذكره البخاري بمعناه(١). وقد مضى في آخر «الفرقان»(٢).

وعن ابن عباس أيضا نزلت في أهل مكة قالوا: بزعم محمد أن من عبد الأوثان وقتل النفس التي حرم الله لم يغفر له، وكيف نهاجر ونسلم وقد عبدنا مع الله إلها آخر وقتلنا النفس التي حرم الله فأنزل الله هذه الآية. وقيل: إنها نزلت في قوم من المسلمين أسرفوا على أنفسهم في العبادة، وخافوا ألا يتقبل منهم لذنوب سبقت لهم في الجاهلية(٣). وقال ابن عباس أيضا وعطاء: نزلت في وحشي قاتل حمزة؛ لأنه ظن أن الله لا يقبل إسلامه(٤): وروى ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: أتى وحشي إلى النبي ﷺ؛ فقال: يا محمد أتيتك مستجيرا فأجرني حتى أسمع كلام الله. فقال رسول الله ﷺ: «قد كنت أحب أن أراك على غير جوار، فأما إذ أتيتني مستجيرا فأنت في جواري حتى تسمع كلام الله» قال: فإني أشركت بالله وقتلت النفس التي حرم الله وزنيت، هل يقبل الله مني توبة؟ فصمت رسول الله ﷺ حتى نزلت: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨] إلى آخر الآية فتلاها عليه؛ فقال أرى شرطا فلعلي لا أعمل صالحا، أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله. فنزلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] فدعا به فتلا عليه؛ قال: فلعلي ممن لا يشاء أنا في جوارك حتى أسمع كلام الله. فنزلت: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ﴾ فقال: نعم الآن لا أرى شرطا. فأسلم(٥). وروى حماد ابن سلمة عن ثابت عن شهر بن حوشب عن أسماء أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾. وفي مصحف ابن مسعود «إن الله يغفر الذنوب جميعا لمن يشاء»(٦). قال أبو جعفر النحاس: وهاتان القراءتان على التفسير، أي يغفر الله لمن يشاء. وقد عرف الله عز وجل من شاء أن يغفر له، وهو التائب أو من عمل صغيرة ولم تكن له كبيرة، ودل على أنه يريد التائب ما بعده ﴿وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ فالتائب مغفور له ذنوبه جميعا يدل على ذلك: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ [طه: ٨٢] فهذا لا إشكال فيه. وقال علي بن أبي طالب: ما في القرآن آية أوسع من هذه الآية: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ﴾ وقد مضى هذا في «سبحان»(٧). وقال عبد الله بن عمر: وهذه أرجى آية في القرآن فرد عليهم ابن عباس وقال: أرجى آية في القرآن قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾ [الرعد: ٦] وقد مضى في «الرعد»(٨). وقرئ «ولا تقنطوا»(٩) بكسر النون وفتحها. وقد مضى في «الحجر»(١٠) بيانه.

---

(١) صحيح: وقد سبق (٢) عند الآية (٦٨).

(٣) ضعيف: الطبري من طريق العوفيين، كذا في تفسيره (٢٤/ ١٤).

(٤، ٥) منقطع وهو ضعيف: فعطاء هذا هو الخراساني ولم يسمع من ابن عباس هنا، ورواه الهيثمي (٧/ ١٠٠، ١٠١) في المجمع وعزاه للطبراني في الأوسط، وقال: «فيه أبين بن سفيان ضعفه الذهبي».

(٦) ضعيف: للاختلاف في شهر والأرجح ضعفه، وهذه قراءة شاذة، ورواه الترمذي (٣٢٣٧) في التفسير، وضعفه الألباني هناك.

(٧) عند الآية (٨٤) من سورة الإسراء. (٨) عند الآية (٦) من سورة الرعد.

(٩) قراءة متواترة: تقريب النشر (ص١٣١). (١٠) عند الآية (٥٥) من سورة الحجر.

قوله تعالى: ﴿ وَأَنِيبُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ ﴾أي ارجعوا إليه بالطاعة. لما بين أن من تاب من الشرك يغفر له أمر بالتوبة والرجوع إليه، والإنابة الرجوع إلى الله بالإخلاص. ﴿وَأَسْلِمُوا لَهُ﴾ أي: اخضعوا له وأطيعوا ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾ في الدنيا ﴿ ثُمَّ لا تُنصَرُونَ﴾ أي: لا تمنعون من عذابه. وروى من حديث جابر أن رسول الله ﷺ قال: «من السعادة: أن يطيل الله عمر المرء في الطاعة ويرزقه الإنابة، وإن من الشقاوة أن يعمل المرء ويعجب بعمله»(١).

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لا تَشْعُرُونَ﴾ ﴿أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ ﴾ هو القرآن وكله حسن، والمعنى ما قال الحسن: التزموا طاعته، واجتنبوا معصيته(٢). وقال السدي: الأحسن ما أمر الله به في كتابه(٣). وقال ابن زيد: يعني المحكمات، وكلوا علم المتشابه إلى علمه(٤). وقال: أنزل الله كتب التوراة والإنجيل والزبور، ثم أنزل القرآن وأمر باتباعه فهو الأحسن وهو المعجز(٥). وقيل: هذا أحسن لأنه ناسخ قاض على جميع الكتب وجميع الكتب منسوخة. وقيل: يعني العفو؛ لأن الله تعالى خير نبيه عليه السلام بين العفو والقصاص. وقيل: ما علم الله النبي عليه السلام وليس بقرآن فهو حسن؛ وما أوحي إليه من القرآن فهو الأحسن. وقيل: أحسن ما أنزل إليكم من أخبار الأمم الماضية. ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ « أن » في موضع نصب أي كراهة ﴿أن تقول﴾وعند الكوفيين: لئلا تقول وعند البصريين: حذر ﴿أن تقول﴾. وقيل: أي من قبل: ﴿ أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ لأنه قال قبل هذا ﴿من قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ﴾ الزمخشري: فإن قلت: لم نكرت؟ قلت: لأن المراد بها بعض الأنفس وهي نفس الكافر. ويجوز أن يريد نفسا متميزة من الأنفس، إما بلجاج في الكفر شديد، أو بعقاب عظيم. ويجوز أن يراد التكثير كما قال الأعشى:

ورُبَّ بَقيع لو هَتَفْتُ بِجَوِّهِ أتاني كَرِيمٌ يَنْفُضُ الرأسَ مُغْضَبَا

وهو يريد أفواجا من الكرام ينصرونه لا كريما واحدا، ونظيره: رب بلد قطعت، ورب بطل قارعت، ولا يقصد إلا التكثير. ﴿ يَا حَسْرَتَىٰ﴾والأصل «يا حسرتي» فأبدل من الياء ألف؛ لأنها أخف وأمكن في الاستغاثة بمد الصوت، وربما ألحقوا بها الهاء؛ أنشد الفراء:

يَا مَرْحَبَاه بحمار نَاجيه إذا أتَى قَرَّبْتُهُ للسَّانِيَه

وربما ألحقوا بها الياء بعد الألف؛ لتدل على الإضافة. وكذلك قرأها أبو جعفر: «يا حسرتاي»(٦) والحسرة الندامة ﴿ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ قال الحسن: في طاعة الله. وقال الضحاك: أي في ذكر الله عز وجل. قال: يعني القرآن والعمل به. وقال أبو عبيدة ﴿فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ أي: في ثواب الله. وقال الفراء: الجنب القرب والجوار؛ يقال: فلان يعيش في جنب فلان ، أي: في جواره؛ ومنه ﴿وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ﴾ [النساء: ٣٦] أي: ما فرطت في طلب جواره وقربه وهو الجنة. وقال الزجاج: أي: على ما فرطت في الطريق الذي هو طريق الله الذي دعاني إليه. والعرب تسمي السبب والطريق إلى الشيء جنبا؛ تقول: تجرعت في جنبك غصصا؛ أي: لأجلك وسببك ولأجل مرضاتك.

(١) ضعيف بتمامه : ضعفه الألباني في ضعيف الجامع (١٤٦٦، ٣٣٤٤) .

(٢، ٣) رواه البغوي (٧/ ١٢٨) في تفسيره ،وهو صحيح ،ورواه السدي كما عند الطبري (١٨/٢٤) في تفسيره.

(٤، ٥) رواه الطبري (٢٤/ ١٧) في تفسيره .

(٦) قراءة متواترة : تقريب النشر (ص١٦٨) .

وقيل: ﴿فِي جنبِ اللَّهِ﴾ أي: في الجانب الذي يؤدي إلى رضا الله عز وجل وثوابه، والعرب تسمي الجانب جنبا، قال الشاعر:

قُسِمَ مَجْهُودا لِذاكَ القَلْبُ النَّاسُ جَنْبٌ والأمِيرُ جَنْبُ

يعني الناس من جانب والأمير من جانب. وقال ابن عرفة: أي تركت من أمر الله؛ يقال: ما فعلت ذلك في جنب حاجتي؛ قال كثير:

أَلاَ تَتَّقِينَ اللَّهَ في جَنْبِ عاشِقٍ له كَبِدٌ حرَّى عليك تَقَطَّعُ

وكذا قال مجاهد؛ أي: ضيعت من أمر الله[1]. ويروى عن النبي ﷺ أنه قال: «ما جلس رجل مجلسا ،ولا مشى ممشى ،ولا اضطجع مضطجعا لم يذكر الله عز وجل فيه إلا كان عليه ترة يوم القيامة» أي حسرة؛ خرجه أبو داود بمعناه[2]. وقال إبراهيم التيمي: من الحسرات يوم القيامة: أن يرى الرجل ماله الذي آتاه الله في الدنيا يوم القيامة في ميزان غيره، قد ورثه وعمل فيه بالحق، كان له أجره وعلى الآخر وزره، ومن الحسرات: أن يرى الرجل عبده الذي خوله الله إياه في الدنيا أقرب منزلة من الله عز وجل، أو يرى رجلا يعرفه أعمى في الدنيا قد أبصر يوم القيامة وعمي هو. ﴿وإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ أي: وما كنت إلا من المستهزئين بالقرآن وبالرسول في الدنيا وبأولياء الله تعالى: قال قتادة: لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى سخر من أهلها[3] ومحل ﴿إِن كُنتُ﴾ النصب على الحال؛ كأنه قال: فرطت وأنا ساخر؛ أي: فرطت في حال سخريتي. وقيل: وما كنت إلا في سخرية ولعب وباطل؛ أي: ما كان سعيي إلا في عبادة غير الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿أَوْ تَقُولَ﴾ هذه النفس ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ أي: أرشدني إلى دينه. وهذا القول لو أن الله هداني لاهتديت قول صدق. وهو قريب من احتجاج المشركين فيما أخبر الرب جل وعز عنهم في قوله: ﴿سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] فهي كلمة حق أريد بها باطل؛ كما قال علي رضى الله عنه لما قال قائل من الخوارج لاحكم إلا لله. ﴿لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ﴾ أي: الشرك والمعاصي. ﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ﴾ يعني أن هذه النفس تقول حين ترى العذاب ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً﴾ أي: تتمنى الرجعة. ﴿فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ نصب على جواب التمني، وإن شئت كان معطوفا على «كرة» لأن معناه أن أكر؛ كما قال الشاعر:

لَلُبْسُ عَبَاءَةٍ وتَقَرَّ عَيْنِي أحبُّ إِليَّ مِنْ لُبْسِ الشُّفُوفِ

وأنشد الفراء:

فمَالكَ منها غَيْرُ ذِكْرى وخَشْيَةٍ وتَسْأَلَ عن رُكْبَانِها أَيْنَ يَمَّمُوا

فنصب وتسأل على موضع الذكرى؛ لأن معنى الكلام: فما لك منها إلا أن تذكر. ومنه للبس عباءة وتقر؛ أي: لأن ألبس عباءة وتقر. وقال أبو صالح: كان رجل عالم في بني إسرائيل وجد

(١) صحيح: رواه الطبري (٢٤/ ١٩) في تفسيره.

(٢) صحيح بنحوه: وليس بهذا اللفظ، وإنما هو عند الترمذي (٣٣٧٧٠) في الدعوات، وأبي داود (٤٨٥٥) في الأدب، وانظر: الصحيحة (٧٧) للألباني، وهو عن أبي هريرة ـ رضي الله عنه.

(٣) صحيح: عزاه السيوطي (٥/ ٦٢٤) في الدر لعبد بن حميد وابن جرير والطبري.
قلت: وهو عند الطبري (٢٤/ ١٩) في تفسيره.

رقعة: إن العبد ليعمل الزمان الطويل بطاعة الله فيختم له عمله بعمل أهل النار فيدخل النار، وإن الرجل ليعمل الزمن الطويل بمعصية الله ثم يختم له عمله بعمل رجل من أهل الجنة فيدخل الجنة؛ فقال: ولأي شيء أتعب نفسي فترك عمله وأخذ في الفسوق والمعصية، وقال له إبليس: لك عمر طويل فتمتع في الدنيا ثم تتوب، فأخذ في الفسوق وأنفق ماله في الفجور، فأتاه ملك الموت في ألذ ما كان، فقال: يا حسرتا على ما فرطت في جنب الله؛ ذهب عمري في طاعة الشيطان، فندم حين لا ينفعه الندم؛ فأنزل الله خبره في القرآن[1]. وقال قتادة: هؤلاء أصناف؛ صنف منهم قال: ﴿يَا حَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾. وصنف منهم قال: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾﴾. وقال آخر: ﴿لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾﴾ فقال الله تعالى ردا لكلامهم: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي﴾[2] قال الزجاج: ﴿بَلَىٰ﴾ جواب النفي وليس في الكلام لفظ النفي، ولكن معنى: ﴿لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي﴾ ما هداني، وكأن هذا القائل قال ما هديت؛ فقيل: بل قد بين لك طريق الهدى فكنت بحيث لو أردت أن تؤمن أمكنك أن تؤمن. ﴿آيَاتِي﴾ أي: القرآن. وقيل: عنى بالآيات المعجزات؛ أي وضح الدليل فأنكرته وكذبته. ﴿فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: تكبرت عن الإيمان ﴿وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾. وقال: ﴿فَكَذَّبْتَ وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ﴾ وهو خطاب الذكر؛ لأن النفس تقع على الذكر والأنثى. يقال: ثلاثة أنفس. وقال المبرد؛ تقول العرب نفس واحد أي إنسان واحد. وروى الربيع بن أنس عن أم سلمة عن النبي ﷺ قرأ: «قد جاءتك آياتي فكذَّبتِ بها واستكبرتِ وكُنتِ من الكافرين»[3]. وقرأ الأعمش: «بلى قد جاءته آياتي»[4] وهذا يدل على التذكير والربيع بن أنس لم يلحق أم سلمة إلا أن القراءة جائزة؛ لأن النفس تقع للمذكر والمؤنث. وقد أنكر هذه القراءة بعضهم وقال: يجب إذا كسر التاء أن تقول وكنت من الكوافر أو من الكافرات. قال النحاس: وهذا لا يلزم؛ ألا ترى أن قبله ﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ﴾ ثم قال: ﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ﴾ لم يقل: من السواخر ولا من الساخرات. والتقدير في العربية على كسر التاء «واستكبرتِ وكنتِ» من الجمع الساخرين أو من الناس الساخرين، أو من القوم الساخرين.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ أي: مما حاط بهم من غضب الله ونقمته. وقال الأخفش ﴿تَرَى﴾ غير عامل في قوله: ﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ﴾ إنما هو ابتداء وخبر. الزمخشري: جملة في موضع الحال إن كان ﴿تَرَى﴾ من رؤية البصر، ومفعول ثان إن كان من رؤية

(١) ضعيف: أبو صالح هذا كذاب، والخبر من الإسرائيليات.

(٢) صحيح إليه: الطبري (٢٤/ ٢٠) في تفسيره.

(٣، ٤) قراءتات غير متواترتين: انظر: المحرر الوجيز (١٤/ ٩٨) لابن عطية.

القلب. ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾ بين رسول الله ﷺ معنى الكبر فقال عليه السلام: «سفه الحق وغمص الناس»[١] أي احتقارهم. وقد مضى في «البقرة»[٢] وغيرها. وفي حديث عبد الله بن عمرو عن النبي ﷺ: «يحشر المتكبرون يوم القيامة كالذر يلحقهم الصغار حتى يؤتى بهم إلى سجن جهنم»[٣].

قوله تعالى: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ وقرئ: «وينجى»[٤] أي: من الشرك والمعاصي. ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ على التوحيد قراءة العامة لأنها مصدر. وقرأ الكوفيون: «بمفازاتهم»[٥] وهو جائز كما تقول: بسعاداتهم. وعن النبي ﷺ تفسير هذه الآية من حديث أبي هريرة، قال: «يحشر الله مع كل امرئ عمله، فيكون عمل المؤمن معه في أحسن صورة وأطيب ريح، فكلما كان رعب أو خوف قال له لا ترع فما أنت بالمراد به ولا أنت بالمعني به، فإذا كثر ذلك عليه قال فما أحسنك فمن أنت؟ فيقول: أما تعرفني، أنا عملك الصالح حملتني على ثقلي، فوالله لأحملنك ولأدفعن عنك فهي التي قال الله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾﴾»[٦].

﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ أي حافظ وقائم به. وقد تقدم.

قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ واحدها مقليد. وقيل: مقلاد وأكثر ما يستعمل فيه إقليد. والمقاليد المفاتيح عن ابن عباس وغيره[٧]. وقال السدي: خزائن السموات والأرض[٨]. وقال غيره: خزائن السموات المطر، وخزائن الأرض: النبات. وفيه لغة أخرى أقاليد وعليها يكون واحدها إقليد. قال الجوهري: والإقليد المفتاح، والمقلد مفتاح كالمنجل ربما يقلد به الكلأ كما يقلد القت إذا جعل حبالا؛ أي يفتل والجمع المقاليد. وأقلد البحر على خلق كثير، أي: غرقهم كأنه أغلق عليهم. وخرج البيهقي عن ابن عمر أن عثمان بن عفان رضي الله عنه سأل رسول الله ﷺ عن تفسير قوله تعالى: ﴿لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾، فقال رسول الله ﷺ: «ما سألني عنها أحد لا إله إلا الله، والله أكبر، سبحان الله وبحمده، استغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هو الأول والآخر والظاهر والباطن يحيي ويميت بيده الخير وهو على كل شيء قدير»[٩] ذكره الثعلبي في تفسيره، وزاد «من قالها إذا أصبح أو أمسى عشر مرات أعطاه الله ست خصال: أولها: يحرس من إبليس، والثانية يحضره اثنا عشر ألف ملك، والثالثة يعطى قنطارا من الأجر، والرابعة ترفع له

---

(١) صحيح: مسلم (٩١) في الإيمان، عن ابن مسعود ـ رضي الله عنه.

(٢) عند الآية (٣٤).

(٣) حسن: الترمذي (٢٤٩٢) في صفة القيامة وحسنه الألباني هناك.

(٤، ٥) قراءتان متواترتان: تقريب النشر (ص ١١٠).

(٦) لم أجده هكذا.

(٧) منقطع: بين ابن عباس ـ رضي الله عنهما وعلي بن أبي طلحة. والطبري (٢٤/ ٢٢) في تفسيره.

(٨) صحيح إليه: الطبري (٢٤/ ٢٢) في تفسيره.

(٩) ضعيف: الهيثمي (١٠/ ١١٥) وفيه الأغلب بن تميم وهو ضعيف.

وقال ابن كثير (٤/ ٦١): «ذكر ابن أبي حاتم هنا حديثًا غريبًا جدًا وفي صحته نظر»، وذكره ثم قال: «وهو غريب وفيه نكارة شديد»، والله أعلم.

درجة، والخامسة يزوجه الله من الحور العين، والسادسة يكون له من الأجر كمن قرأ القرآن والتوراة والإنجيل والزبور، وله أيضا من الأجر كمن حج واعتمر فقبلت حجته وعمرته، فإن مات من ليلته مات شهيدا ». وروى الحارث عن علي قال: سألت رسول الله ﷺ عن تفسير المقاليد: فقال: «يا علي لقد سألت عن عظيم المقاليد هو أن تقول عشرا إذا أصبحت وعشرا إذا أمسيت لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله والحمد لله واستغفر الله ،ولا قوة إلا بالله الأول والآخر والظاهر والباطن له الملك وله الحمد بيده الخير وهو على كل شيء قدير من قالها عشرا إذا أصبح، وعشرا إذا أمسى أعطاه الله خصالا ستا: أولها يحرسه من الشيطان وجنوده فلا يكون لهم عليه سلطان، والثانية: يعطى قنطارا في الجنة هو أثقل في ميزانه من جبل أحد، والثالثة ترفع له درجة لا ينالها إلا الأبرار، والرابعة: يزوجه الله من الحور العين، والخامسة: يشهده اثنا عشر ألف ملك يكتبونها له في رق منشور ويشهدون له بها يوم القيامة، والسادسة: يكون له من الأجر كأنما قرأ التوراة والإنجيل والزبور والفرقان، وكمن حج واعتمر فقبل الله حجته وعمرته، وإن مات من يومه أو ليلته أو شهره طبع بطابع الشهداء»[1]. وقيل: المقاليد: الطاعة يقال: ألقى إلى فلان بالمقاليد: أي: أطاعه فيما يأمره؛ فمعنى الآية له طاعة من في السموات والأرض.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ أي: بالقرآن والحجج والدلالات. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ تقدم.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ﴾ذلك حين دعوا النبي ﷺ إلى ما هم عليه من عبادة الأصنام وقالوا: هو دين آبائك. و« غير» نصب بـ ﴿أَعْبُدُ﴾على تقدير أعبد غير الله فيما تأمرونني. ويجوز أن ينتصب بـ ﴿تَأْمُرُونِّي﴾على حذف حرف الجر؛ التقدير: أتأمروني بغير الله أن أعبده، لأن «أن »مقدرة و « أن » والفعل مصدر، وهي بدل من غير؛ التقدير: أتأمروني بعبادة غير الله. وقرأ نافع: «تأمروني» بنون واحدة مخففة وفتح الياء[2]. وقرأ ابن عامر: «تأمرونني» بنونين مخففتين[3] على الأصل. الباقون بنون واحدة مشددة على الإدغام، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لأنها وقعت في مصحف عثمان بنون واحدة. وقرأ نافع على حذف النون الثانية وإنما كانت المحذوفة الثانية؛ لأن التكرير والتثقيل يقع بها،وأيضا حذف الأولى لا يجوز؛لأنها دلالة الرفع. وقد مضى في «الأنعام» بيانه عند قوله تعالى: ﴿أَتُحَاجُّونِّي﴾. ﴿أَعْبُدُ﴾ أي أن أعبد فلما حذف «أن» رفع؛ قاله الكسائي. ومنه قول الشاعر:

ألا أيُّهَذَا الزاجِرِي أحْضُرُ الوَغَى

والدليل على صحة هذا الوجه قراءة من قرأ: «أعبد» بالنصب.

﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ۝ بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ۝﴾

(١) ضعيف جدًا: الحارث الأعور: ضعيف جدًا وذكره الآلوسي في روح المعاني (٧/ ٤١٨).

(٢، ٣) قراءتان متواترتان: تقريب النشر (ص١٦٨).

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ قيل: إن في الكلام تقديما وتأخيرا؛ والتقدير: لقد أوحي إليك لئن أشركت وأوحي إلى الذين من قبلك كذلك. وقيل: هو على بابه؛ قال مقاتل: أي أوحي إليك وإلى الأنبياء قبلك بالتوحيد والتوحيد محذوف. ثم قال: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ﴾ يا محمد: ﴿لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ وهو خطاب للنبي ﷺ خاصة[1]. وقيل: الخطاب له والمراد أمته؛ إذ قد علم الله أنه لا يشرك ولا يقع منه إشراك. والإحباط: الإبطال والفساد. قال القشيري: فمن ارتد لم تنفعه طاعاته السابقة ولكن إحباط الردة العمل مشروط بالوفاة على الكفر؛ ولهذا قال: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧] فالمطلق ها هنا محمول على المقيد؛ ولهذا قلنا: من حج ثم ارتد ثم عاد إلى الإسلام لا يجب عليه إعادة الحج.

قلت: هذا مذهب الشافعي. وعند مالك: تجب عليه الإعادة وقد مضى في «البقرة»[2] بيان هذا مستوفى.

قوله تعالى: ﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾ النحاس: في كتابي عن أبي إسحاق لفظ اسم الله عز وجل منصوب بـ «اعبد» قال: ولا اختلاف في هذا بين البصريين والكوفيين. قال النحاس: وقال الفراء: يكون منصوبا بإضمار فعل. وحكاه المهدوي عن الكسائي. فأما الفاء فقال الزجاج: إنها للمجازاة. وقال الأخفش: هي زائدة. وقال ابن عباس: ﴿فَاعْبُدْ﴾ أي فوحد[3]. وقال غيره: ﴿بَلِ اللَّهَ﴾ فأطع ﴿وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ﴾ لنعمه بخلاف المشركين.

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ قال المبرد: ما عظموه حق عظمته من قولك: فلان عظيم القدر. قال النحاس: والمعنى على هذا وما عظموه حق عظمته إذا عبدوا معه غيره وهو خالق الأشياء ومالكها. ثم أخبر عن قدرته وعظمته فقال: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾. ثم نزه نفسه عن أن يكون ذلك بجارحة فقال: ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾. وفي الترمذي عن عبد الله قال: جاء يهودي إلى النبي ﷺ، فقال: يا محمد، إن الله يمسك السموات على إصبع والخلائق على إصبع ثم يقول أنا الملك. فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه ثم قال: ﴿مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾. قال: هذا حديث حسن صحيح[4]. وفي البخاري ومسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض»[5]. وفي الترمذي عن عائشة" أنها سألت رسول الله ﷺ عن قوله ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ

---

(١) معضل: الشوكاني (٦/ ٣٠١) في فتح القدير. (٢) عند الآية (٢١٧).

(٣) عزاه الشوكاني (٦/ ٣٠٢) في فتح القدير لعطاء ومقاتل.

(٤) حسن صحيح: الترمذي (٣٤٣٨) في التفسير، وصححه الألباني.

(٥) متفق عليه: البخاري (٤٨١٢) في التفسير، ومسلم (٢٧٨٧/ ٢٣) في صفات المنافقين وأحكامهم، باب صفة القيامة والجنة والنار».

﴿الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ قالت: قلت فأين الناس يومئذ يا رسول الله؟ قال: «على جسر جهنم» في رواية «على الصراط يا عائشة» قال: حديث حسن صحيح.(١) وقوله: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ «ويقبض الله الأرض» عبارة عن قدرته وإحاطته بجميع مخلوقاته(٢)؛ يقال: ما فلان إلا في قبضتي، بمعنى ما فلان إلا في قدرتي، والناس يقولون الأشياء في قبضته يريدون في ملكه وقدرته. وقد يكون معنى القبض والطي إفناء الشيء وإذهابه فقوله جل وعز ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ يحتمل أن يكون المراد به والأرض جميعا ذاهبة فانية يوم القيامة، والمراد بالأرض الأرضون السبع؛ يشهد لذلك شاهدان: قوله: ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعًا﴾ ولأن الموضع موضع تفخيم وهو مقتض للمبالغة. وقوله: ﴿قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ ليس يريد به طيا بعلاج وانتصاب، وإنما المراد بذلك الفناء والذهاب؛ يقال: قد انطوى عنا ما كنا فيه وجاءنا غيره. وانطوى عنا دهر بمعنى المضى والذهاب. واليمين في كلام العرب قد تكون بمعنى القدرة والملك؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ [النساء: ٣] يريد به الملك؛ وقال: ﴿لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ﴾ [الحاقة: ٤٥] أي بالقوة والقدرة أي لأخذنا قوته وقدرته. قال الفراء والمبرد: اليمين القوة والقدرة. وأنشدا:

إذا ما رَايَةٌ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةُ بِاليَمِينِ

وقال آخر:

ولَمَّا رَأَيْتُ الشَّمسَ أشْرَقَ نُورُها تَنَاولتُ منها حَاجَتِي بِيَمِين
قتلتُ شُنَيْفًا ثم فارانَ بَعدَه وكان على الآيات غيرَ أمِين

وإنما خص يوم القيامة بالذكر وإن كانت قدرته شاملة لكل شيء أيضا؛ لأن الدعاوى تنقطع ذلك اليوم، كما قال: ﴿وَالأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ﴾ [الانفطار: ١٩] وقال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٣] حسب ما تقدم في «الفاتحة»، ولذلك قال في الحديث: «ثم يقول أنا الملك أين ملوك الأرض؟»(٣)، وقد زدنا هذا الباب في «التذكرة بيانا، وتكلمنا على ذكر الشمال في حديث ابن عمر قوله: «ثم يطوي الأرض بشماله»(٤).

قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ بين ما يكون بعد قبض الأرض وطي السماء وهو النفخ في الصور، وإنما هما نفختان؛ يموت الخلق في الأولى منهما ويحيون في الثانية.

وقد مضى الكلام في هذا في «النمل»(٥) و«الأنعام»(٦) أيضا. والذي ينفخ في الصور هو إسرافيل عليه السلام.

وقد قيل: إنه يكون معه جبريل لحديث أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ إن صاحبي

---

(١) حسن صحيح: مسلم (٢٧٩١) في صفة المنافقين وأحكامهم، والترمذي (٣١٢١) في التفسير، وصححه الألباني.
(٢) وهو تأويل مردود، فنثبت له سبحانه ما أثبته لذاته من يد على النحو الذي يليق به سبحانه.
(٣، ٤) متفق عليهما: وقد سبقا.
(٥) عند الآية (٨٧).
(٦) عند الآية (٧٣).

الصور بأيديهما - أو في أيديهما - قرنان يلاحظان النظر متى يؤمران»[١] خرجه ابن ماجة في السنن. وفي كتاب أبي داود عن أبي سعيد الخدري قال: ذكر رسول الله صاحب الصور، وقال: «عن يمينه جبرائيل وعن يساره ميكائيل»[٢]. واختلف في المستثنى من هم؟ فقيل: هم الشهداء متقلدين أسيافهم حول العرش. روي مرفوعا من حديث أبي هريرة[٣] فيما ذكر القشيري، ومن حديث عبدالله بن عمر فيما ذكر الثعلبي[٤]. وقيل: جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت عليهم السلام. وروي من حديث أنس أن النبي ﷺ تلا: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ فقالوا: يا نبي الله من هم الذين استثنى الله تعالى؟ قال: «هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت فيقول الله تعالى لملك الموت يا ملك الموت من بقي من خلقي وهو أعلم فيقول يا رب بقي جبريل وميكائيل وإسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت فيقول الله تعالى خذ نفس إسرائيل وميكائيل فيخران ميتين كالطودين العظيمين فيقول مت يا ملك الموت فيموت فيقول الله تعالى لجبريل يا جبريل من بقي فيقول تباركت وتعاليت ذا الجلال والإكرام وجهك الباقي الدائم وجبريل الميت الفاني فيقول الله تعالى يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه يقول سبحانك ربي تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام» قال النبي ﷺ: «إن فضل خلقه على خلق ميكائيل كالطود العظيم على الظرب من الظراب»[٥] ذكره الثعلبي. وذكره النحاس أيضا من حديث محمد بن إسحاق، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ في قوله جل وعز: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ قال: «جبريل وميكائيل وحملة العرش وملك الموت وإسرافيل»[٦] وفي هذا الحديث: «إن آخرهم موتا جبريل عليه وعليهم السلام»[٧] وحديث أبي هريرة في الشهداء أصح على ما تقدم في «النمل»[٨]. وقال الضحاك: هو رضوان والحور ومالك والزبانية[٩]. وقيل: عقارب أهل النار وحياتها. وقال الحسن: هو الله الواحد القهار وما يدع أحدا من أهل السماء والأرض إلا أذاقه الموت[١٠]. وقال قتادة: الله أعلم بثنياه[١١]. وقيل: الاستثناء في قوله: ﴿إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ﴾ يرجع إلى من مات قبل النفخة الأولى؛ أي فيموت من في السماوات والأرضى إلا من سبق موته لأنهم كانوا قد ماتوا.

وفي الصحيحين وابن ماجه واللفظ له عن أبي هريرة قال: قال رجل من اليهود بسوقي المدينة: والذي اصطفى موسى على البشر فرفع رجل من الأنصار يده فلطمه؛ قال: تقول هذا وفينا رسول الله ﷺ. فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: «قال الله عز وجل: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَمَن فِي الأَرْضِ إِلاَّ مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ فأكون أول من رفع رأسه، فإذا أنا بموسى

---

(١) ضعيف: ابن ماجه (٤٢٧٣) في الزهد، وضعفه الألباني هناك لوجود حجاج بن أرطاة، وعطية العوفي.

(٢) ضعيف: أبو داود (٣٩٩٨، ٣٩٩٩) في الحروف والقراءات، وضعفه الألباني هناك، وفيه عطية العوفى.

(٣) ضعيف: البيهقي (٦٦٩) في البعث. (٤) ضعيف: انظر السابق.

(٥) ضعيف: انظر التالي

(٦، ٧) ضعيف: فيه يزيد الرقاشي، وعنعنه ابن إسحاق، وهو عند الطبري (٢٤/ ٢٨) في تفسيره.

(٨) سبق عند الآية (٨٧).

(٩) ذكره ابن الجوزي (٥/ ٢٧٩) في زاد المسير بلا إسناد.

(١٠، ١١) انظر السابق، وهو صحيح إلى قتادة، وانظر: الدر المنثور (٥/ ٦٣١) للسيوطي.

آخذ بقائمة من قـوائم العرش فلا أدري أرفع رأسه قبلي أو كان ممن استثنى الله ومن قال أنا خير من يونس بن مـتى فقـد كذب»[١] ،وخرجـه الترمـذي أيضا وقـال فيـه: حديث حـسن صحـيح. قال القشيري: ومن حمل الاستثناء على موسى والشهداء فهؤلاء قد ماتوا غير أنهم أحياء عند الله. فيجوز أن تكون الصعـقة بزوال العقل دون زوال الحـياة، ويجوز أن تكون بالموت، ولا يبـعد أن يكون الموت والحياة فكل ذلك مما يجوزه العقل، والأمر في وقوعه موقوف على خبر صدق.

**قلت:** جاء في بعـض طرق أبي هريرة أنه عليه السـلام قال: «لا تخـيروني على مـوسى، فإن الناس يصعقون فأكون أول من يفيق، فإذا مـوسى باطش بجانب العرش ،فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي أم كان ممن اسـتثنى الله» خرجه مسلم[٢] . ونحوه عن أبي سعيـد الخدري؛ والإفاقة إنما تكون عن غشية وزوال عقل لا عن موت برد الحياة. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾أي: فإذا الأموات من أهـل الأرض والسماء أحياء بـعثوا من قبورهم، وأعيـدت إليهم أبدانهم وأرواحهم، فقاموا ينظرون ماذا يؤمـرون. وقيل: قيام على أرجلهم ينظرون إلى البـعث الذي وعدوا به. وقيـل: هذا النظر بمعنى الانتظار؛ أي: ينتظرون ما يفـعل بهم. وأجاز الكسائي قياما بالنصب؛ كما تقول: خرجت فإذا زيد جالسا.

﴿ وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَـٰبُ وَجِا۟ىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ إشراقهـا إضاءتها؛ يقال: أشـرقت الشمس إذا أضاءت وشرقت إذا طلعـت. ومعنى: ﴿ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ بعدل ربهـا ؛ قاله الحسن وغـيره [٣]. وقال الضـحاك: بحكم ربها [٤]؛ والمعنى واحد؛ أي: أنارت وأضـاءت بعدل الله وقـضائه بالحق بين عـباده. والظلم ظلمات والعـدل نور. وقيل: إن الله يخلق نورا يوم القيامـة يلبسه وجه الأرض فـتشرق الأرض به. وقال ابن عباس: النور المذكور ها هنا ليس من نور الشمس والقمر، بل هو نور يخلقه الله فيضيء به الأرض[٥]. وروي أن الأرض يومئذ من فضة تشرق بنور الله تعالى حين يأتي لفصل القضاء. والمعنى أنها أشرقت بـنور خلقه الله تعالى، فأضـاف النور إليه على حد إضافـة الملك إلى المالك. وقيل: إنه اليوم الذي يقضي فـيه بين خلقه؛ لأنه نهار لا ليل معه. وقـرأ ابن عباس وعبيد بن عـمير «وأشرقت الأرض» على ما لم يسم فـاعله وهي قراءة على التفـسير. وقد ضل قـوم ها هنا فتوهمـوا أن الله عز وجل من جنس النور والضياء المحسوس،وهو متعال عن مـشابهة المحسوسات، بل هو منور السموات والأرض، فمنه كل نور خلقا وإنشاء. وقال أبو جعفر النحاس: وقوله عز وجل: ﴿وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ

---

(١) متفق عليه : وقد سبق .

(٢) صحيح : وقد سبق .

(٣ ـ ٥) البغوي (٧/ ١٣٢) في تفسيره .

(٦) متفق عليه : وقد سبق .

﴿رَبِّهَا﴾ يبين هذا الحديث المرفوع من طرق كثيرة صحاح «تنظرون إلى الله عز وجل لا تضامون في رؤيته» ،وهو يروى على أربعة أوجه: « لا تُضامون» و«لا تضارُون » و«لا تضامُّون » و «لا تضارُّون»؛ فمعنى «لا تضامُون» لا يلحقكم ضيم كما يلحقكم في الدنيا في النظر إلى الملوك. و«لا تضارُون» لا يلحقكم ضير. و«لا تضامُّون» لا ينضم بعضكم إلى بعض ليسأله أن يريه. و«لا تضارُّون» لا يخالف بعضكم بعضا. يقال: ضاره مضارة وضرارا، أي: خالفه.

قوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ قال ابن عباس: يريد اللوح المحفوظ(١). وقال قتادة: يريد الكتاب والصحف التي فيها أعمال بني آدم، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله(٢). ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ﴾ أي: جيء بهم فسألهم عما أجابتهم به أممهم. ﴿وَالشُّهَدَاءِ﴾ الذين شهدوا على الأمم من أمة محمد ﷺ؛ كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وقيل: المراد بالشهداء الذين استشهدوا في سبيل الله، فيشهدون يوم القيامة لمن ذب عن دين الله؛ قاله السدي(٣). قال ابن زيد: هم الحفظة الذين يشهدون على الناس بأعمالهم(٤). قال الله تعالى: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١] فالسائق يسوقها إلى الحساب والشهيد يشهد عليها، وهو الملك الموكل بالإنسان على ما يأتي بيانه في «ق»(٥). ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ أي: بالصدق والعدل. ﴿وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ﴾ قال سعيد بن جبير: لا ينقص من حسناتهم ولا يزاد على سيئاتهم(٦). ﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ﴾ من خير أو شر. ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ في الدنيا ولا حاجة به عز وجل إلى كتاب ولا إلى شاهد، ومع ذلك فتشهد الكتب، والشهود إلزاما للحجة.

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا ۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾ ﴾

قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ هذا بيان توفية كل نفس عملها، فيساق الكافر إلى النار والمؤمن إلى الجنة. والزمر: الجماعات واحدتها زمرة كظلمة وغرفة. وقال الأخفش وأبو عبيدة: ﴿زُمَرًا﴾ جماعات متفرقة بعضها إثر بعض. قال الشاعر:

وتَرى النَّاسَ إلى مَنْزِلِه زُمَراً تَنْتَابُه بعْدَ زُمَرْ

وقال آخر:

حتّى احزَألّتْ زُمَرٌ بعد زُمَرْ

وقيل: دفعا وزجرا بصوت كصوت المزمار. ﴿حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾جواب إذا، وهي سبعة

---

(١) صحيح: الطبري (٢٤/ ٣٢) في تفسيره.

(٢-٤) انظر: الطبري (٢٤/ ٣٢) في تفسيره.

(٥) عند الآية (٢١). (٦) لم أجده هكذا.

أبواب. وقد مضى في «الحجر»[1]. ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ واحدهم خازن نحو سدنة وسادن، ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ يقولون لهم تقريعا وتوبيخا. ﴿يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ﴾ أي: الكتب المنزلة على الأنبياء. ﴿وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا﴾ أي يخوفونكم لقاء يومكم هذا ﴿قَالُوا بَلَى﴾ أي قد جاءتنا، وهذا اعتراف منهم بقيام الحجة عليهم ﴿وَلَكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ وهي قوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣]. ﴿قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا﴾ أي: يقال لهم: ادخلوا جهنم. وقد مضى الكلام في أبوابها. قال وهب: تستقبلهم الزبانية بمقامع من نار فيدفعونهم بمقامعهم، فإنه ليقع في الدفعة الواحدة إلى النار بعدد ربيعة ومضر. ﴿فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ﴾ تقدم بيانه.

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا﴾ يعني من الشهداء والزهاد والعلماء والقراء وغيرهم، ممن اتقى الله تعالى وعمل بطاعته. وقال في حق الفريقين: ﴿وَسِيقَ﴾ بلفظ واحد، فسوق أهل النار طردهم إليها بالخزي والهوان، كما يفعل بالأسارى والخارجين على السلطان إذا سيقوا إلى حبس أو قتل، وسوق أهل الجنان سوق مراكبهم إلى دار الكرامة والرضوان؛ لأنه لا يذهب بهم إلا راكبين كما يفعل بمن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك، فشتان ما بين السوقين. ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ قيل: الواو هنا للعطف عطف على جملة والجواب محذوف. قال المبرد: أي سعدوا وفتحت، وحذف الجواب بليغ في كلام العرب. وأنشد:

فلَوْ أَنَّهَا نَفْسٌ تَمُوتُ جَمِيعةً ولكنَّهَا نَفْسٌ تَسَاقَطُ أَنْفُسَا

فحذف جواب لو والتقدير لكان أروح. وقال الزجاج: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا﴾ دخلوها وهو قريب من الأول. وقيل: الواو زائدة. قال الكوفيون: وهو خطأ عند البصريين. وقد قيل: إن زيادة الواو دليل على أن الأبواب فتحت لهم قبل أن يأتوا لكرامتهم على الله تعالى، والتقدير: حتى إذا جاؤوها وأبوابها مفتحة، بدليل قوله: ﴿جَنَّاتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥٠] وحذف الواو في قصة أهل النار؛ لأنهم وقفوا على النار وفتحت بعد وقوفهم إذلالا وترويعا لهم. ذكره المهدوي وحكى معناه النحاس قبله. قال النحاس: فأما الحكمة في إثبات الواو في الثاني وحذفها من الأول، فقد تكلم فيه بعض أهل العلم بقول لا أعلم أنه سبقه إليه أحد، وهو أنه لما قال الله عز وجل في أهل النار: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ دل بهذا على أنها كانت مغلقة، ولما قال في أهل الجنة: ﴿حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ دل بهذا على أنها كانت مفتحة قبل أن يجيؤوها؛ والله أعلم. وقيل: إنها واو الثمانية. وذلك من عادة قريش أنهم يعدون من الواحد فيقولون خمسة ستة سبعة وثمانية، فإذا بلغوا

(١) عند الآيتين (٤٣، ٤٤).

السبعـة قالوا :وثمانية ؛قاله أبو بكر بن عيـاش. قال الله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ﴾ [الحاقة: ٧] وقال: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ﴾ ثم قال في الثامن ﴿وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢]، وقال: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] وقال: ﴿ثَيِّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥] وقد مضى القول في هذا في «براءة»[١] مستوفى وفي «الكهف»[٢] أيضا.

**قلت:** وقد استدل بهذا من قال: إن أبواب الجنة ثمـانية؛ وذكروا حديث عمر بن الخطاب، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما منكم من أحـد يتوضأ فيبلغ - أو فيسبغ الوضـوء - ثم قال أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمـدا عبده ورسوله إلا فـتحت له أبواب الجنة الثمانية يـدخل من أيها شاء»[٣] خرجه مسلم وغيره. وقد خـرج الترمذي حديث عمر هذا وقال فيـه: «فتح له من أبواب الجنة ثمانية أبواب يوم القيامة»[٤] بزيادة «من» وهو يدل على أن أبواب الجنة أكثر من ثمانية. وقد ذكرنا ذلك في كتاب «التذكـرة »وانتهى عددها إلى ثلاثة عشـر بابا، وذكرنا هناك عظم أبوابها وسـعتها حـسب ما ورد في الحديث من ذلك، فمن أراده وقف عليه هناك.

**قوله تعالى:** ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا﴾ قيل: الواو ملغاة تقديره حتى إذا جـاؤوها وفتحت أبوابها ﴿قال لهم خزنتـها سلام عليكم طبـتم﴾أي في الدنيا. قال مجـاهد: بطاعة الله. وقيل: بالعـمل الصالح. حكاه النقاش والمعنى واحد. وقال مقاتل: إذا قطعوا جـسر جهنم حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيـقص لبعضـهم من بعض مظالم كانت بيـنهم في الدنيا، حتى إذا هذبوا وطـيبوا قـال لهم رضوان وأصحابه ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾ بمعنى التحية: ﴿طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾.

**قلت:** خرج البخـاري حديث القنطرة هذا في جامعـه من حديث أبي سعيد الخـدري قال: قال رسول الله ﷺ: «يخلص المؤمنون من النار فيحبسـون على قنطرة بين الجنة والنار فيقص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا حتى إذا هذبوا ونقوا أذن لهم في دخول الجنة فو الذي نفس محمد بيده لأحـدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كـان في الدنيا»[٥] وحكى النقاش: إن على باب الجنة شجرة ينبع من ساقـها عينان يشرب المؤمنون من إحداهما فتطهر أجـوافهم وذلك قوله تعالى﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا﴾ [الإنسان: ٢١] ثم يغتسلون من الأخـرى فتطيب أبشارهم فعندها يقول لهم خـزنتها ﴿سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين﴾ وهذا يروى معناه عن علي رضي الله عنه.

**قوله تعالى:** ﴿وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ﴾ أي إذا دخلوا الجنة قالوا هذا. ﴿وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ﴾ أي: أرض الجنة قيل: إنهم ورثوا الأرض التي كـانت تكون لأهل النار لو كانوا مؤمنين؛ قـاله أبو العالية وأبو صالح وقـتادة والسدي وأكثـر المفسرين ،وقيل: إنهـا أرض الدنيا على التقديم والتأخير[٦]. ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ﴾ قيل: هو من قولهم أي نعم الثواب هذا. وقيل: هو من قول

---

(١، ٢) الآية (١١٢) من سورة التوبة ، و(٢٢) من سورة الكهف.

(٣) صحيح : مسلم (٢٣٤) في الطهارة .

(٤) صحيح : الترمذي (٥٥) في الطهارة وصححه الألباني

(٥) صحيح : البخاري (٢٤٤٠) في المظالم .

(٦) صحيح إلى قتادة والسُّدي : الطبري (٢٤/ ٣٦) في تفسيره .

الله تعالى؛ أي نعم ثواب المحسنين هذا الذي أعطيتهم.

قوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ﴾ يا محمد ﴿حَافِّينَ﴾ أي محدقين ﴿مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ﴾ في ذلك اليوم ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ متلذذين بذلك لا متعبدين به؛ أي: يصلون حول العرش شكرا لربهم. والحافون أخذ من حافات الشيء ونواحيه. قال الأخفش: واحدهم حاف. وقال الفراء: لا واحد له إذ لا يقع لهم الاسم إلا مجتمعين. ودخلت ﴿مِنْ﴾ على ﴿حول﴾ لأنه ظرف والفعل يتعدى إلى الظرف بحرف وبغير حرف. وقال الأخفش ﴿مِنْ﴾ زائدة أي حافين حول العرش. وهو كقولك: ما جاءني من أحد، فمن توكيد. الثعلبي: والعرب تدخل الباء أحيانا في التسبيح وتحذفها أحيانا، فيقولون: سبح بحمد ربك، وسبح حمدا لله؛ قال الله تعالى: ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى: ١] وقال ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]. ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ﴾ بين أهل الجنة والنار. وقيل: قضى بين النبيين الذين جيء بهم مع الشهداء وبين أممهم بالحق والعدل. ﴿وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ أي يقول المؤمنون الحمد لله على ما أثابنا من نعمه وإحسانه ونصرنا على من ظلمنا. وقال قتادة في هذه الآية: افتتح الله أول الخلق بالحمد لله، فقال: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ﴾ [الأنعام: ١] وختم بالحمد فقال ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ فلزم الاقتداء به، والأخذ في ابتداء كل أمر بحمده وخاتمته بحمده[1]. وقيل: إن قول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ من قول الملائكة فعلى هذا يكون حمدهم لله تعالى على عدله وقضائه. وروي من حديث ابن عمر أن رسول الله ﷺ قرأ على المنبر آخر سورة «الزمر» فتحرك المنبر مرتين[2].

---

(١) صحيح إليه: الطبري (٢٤/ ٣٧) في تفسيره، وزاد السيوطي (٥/ ٦٤٢) في الدر عزوه لعبد بن حميد، وابن المنذر، وعبد الرزاق.

(٢) ضعيف: الهيثمي (٢/ ١٩٠) في المجمع، عن جابر ـ رضي الله عنه، وقال: «رواه الطبراني في الأوسط من رواية أبي بحر البكراوي، عن عباس بن ميسرة المنقري، وكلاهما: ضعيف»، إلا أن أحمد قال في أبي بحر: لا بأس به.